

# السُّبْحُ الرَّابِعُ

فِي التَّوْحِيدِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ  
وَالْفَضَاءِ وَالْقَدْرِ

تأليف  
شيخ الإسلام ابن تيمية

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .  
وأشهد أن لا إله إلا الله .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله — صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً . أما بعد .  
فقد سألتني من تعينت إجابتهم أن أكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في بعض المجالس ؛ من الكلام في التوحيد والصفات وفي الشرع والقدر لمسيب الحاجة إلى تحقيق هذين الأصلين ، وكثرة الاضطراب فيهما . فإنهما مع حاجة كل أحد إليهما ، ومع أن أهل النظر ، والعلم ، والإرادة ، والعبادة لا بد أن يحظر لهم في ذلك من الخواطر ، والأقوال ما يحتاجون معه إلى بيان الهدى من الضلال لاسيما مع كثرة من خاض في ذلك بالحق تارة ، والباطل تارات ، وما يعترى القلوب في ذلك : من الشبه التي توقعها في أنواع الضلالات .

فالكلام في باب التوحيد والصفات : هو من باب الخير الدائر بين النفي والإثبات .  
والكلام في الشرع والقدر : هو من باب الطلب والإرادة : الدائر بين الإرادة والهبة ، وبين الكراهة والبغض : نفيًا ، وإثباتًا .

والإنسان يجد في نفسه الفرق بين النفي والإثبات ؛ والتصديق والتكذيب ، وبين الحب والبغض ، والحض والمنع ؛ حتى إن الفرق بين هذا النوع وبين النوع الآخر معروف عند العامة والخاصة ، ومعروف عند أصناف المتكلمين في العلم ، كما ذكر ذلك الفقهاء في كتاب الإيمان ، وكما ذكره المقسمون للكلام ؛ من أهل النظر ، والنحو ، والبيان ، فذكروا أن الكلام نوعان : خير ، وإنشاء ، والخير دائر بين النفي والإثبات ، والإنشاء أمر ، أو نهي ، أو إباحة .

وإذا كان كذلك : فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال ، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يصاد هذه الحال ، ولا بد له في أحكامه في أن يثبت خلقه

وأمره ، فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته ، وعموم مشيئته ، ويثبت أمره المتضمن بيان ما يعبه ويرضاه : من القول والعمل ، ويؤمن بشرعه وقدره إيماناً خالياً من الزلل .

وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له : وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل ، والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول كما دل على ذلك سورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ودل على الآخر سورة : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ وهما سورتا الاخلاص ، وبهما كان النبي ﷺ يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر ، وركعتي الطواف ، وغير ذلك .

فأما الأول وهو التوحيد في الصفات فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله : نفياً وإثباتاً ؛ فثبت لله ما أثبتته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه .

وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته من الصفات ، من غير تكيف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل .

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه ، مع إثبات ما أثبتته من الصفات ، من غير إلحاد : لا في أسمائه ولا في آياته ، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته ، كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ! ﴾<sup>(٢)</sup> الآية .

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات ، مع نفى مماثلة المخلوقات : إثباتاً بلا تشبيه ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

في قوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ : رد للتشبيه والتمثيل وفي قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ : رداً للإلحاد والتعطيل .

(١) سورة الأعراف الآية (١٨٠)

(٢) سورة فصلت - الآية (٤٠) .

والله سبحانه : بعث رسله (بإثبات مفصل ، ونفى مجمل) فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل ، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل ، كما قال تعالى : ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> . قال أهل اللغة : هل تعلم له سمياً أى نظيراً يستحق مثل اسمه . ويقال : مسامياً يساميه ، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مثيلاً أو شبيهاً<sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وقال تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُلْدَادًا إِذْ دَاوَأْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أُلْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾<sup>(٦)</sup> وقال تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ • يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup> .

وقال تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا • الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾<sup>(٨)</sup> وقال تعالى : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ • أَمْ عَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ • أَلَا إِنَّهُمْ مِنِ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ • وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ • مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ • أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ • فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ • وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ • سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ • إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ إلى قوله : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ • وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٩)</sup> .

(٣) سورة مريم الآية (٦٥) .

(٤) ذكر الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى فى تفسيره التلر المنثور (٢٧٩/٤) تعبيراً على الآية (٦٥) من سورة مريم ما أخرجهُ ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله (هل تعلم له سمياً) قال هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً .

وجاء فى تفسير ابن كثير (١٣١/٣) مارواه قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً .

(٥) سورة البقرة — الآية (٢٢) .

(٦) سورة البقرة — الآية (١٦٥) .

(٧) سورة الأنعام الآية (١٠٠) و (١٠١) .

(٨) سورة الفرقان الآيات (١ ، ٢) .

(٩) سورة الصافات الآيات من الآية (١٤٩) إلى الآية (١٨٢) .

فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْمُفْتَرُونَ الْمُشْرِكُونَ ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ  
 مِنَ الْإِفْكَ وَالشُّرْكِ ، وَحَمْدَ نَفْسِهِ : إِذْ هُوَ سَبْحَانَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْحَمْدِ بِمَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ  
 وَالصِّفَاتِ ، وَبَدِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ .

وأما (الاثبات المفصل) : فإنه ذكر من أسمائه وصفاته ، ما أنزله في محكم آياته كقوله :  
 ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>(١٠)</sup> الآية بكاملها . وقوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ  
 الصَّمَدُ﴾ السورة ، وقوله : ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ﴿وَهُوَ  
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ  
 الْوَدُودُ﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ . فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ<sup>(١١)</sup> ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ  
 وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ  
 اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا  
 يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ<sup>(١٢)</sup> .

وقوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾<sup>(١٣)</sup>  
 وقوله : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى  
 الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١٤)</sup> الآية ، وقوله : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ  
 رَبَّهُ﴾<sup>(١٥)</sup> وقوله : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَلَعَنَهُ﴾<sup>(١٦)</sup> وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَادَوْنَ لَمَقَاتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَاتِكُمْ أَلْسِنَتِكُمْ إِذْ  
 تُلَدِّعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾<sup>(١٧)</sup> وقوله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ  
 مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(١٨)</sup> وقوله : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا  
 وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾<sup>(١٩)</sup> .

وقوله : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(٢٠)</sup> وقوله : ﴿وَنَادَيْتَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ  
 الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾<sup>(٢١)</sup> وقوله : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ : أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ

- |                                     |                                  |
|-------------------------------------|----------------------------------|
| (١٠) سورة البقرة الآية (٢٥٥) .      | (١٦) سورة النساء — الآية (٩٣) .  |
| (١١) سورة المروج الآيات (١٤ : ١٦) . | (١٧) سورة غافر — الآية (١٠) .    |
| (١٢) سورة الحديد الآيات (٣ ، ٤) .   | (١٨) سورة البقرة — الآية (٢١٠) . |
| (١٣) سورة محمد — الآية (٢٨) .       | (١٩) سورة فصلت — الآية (١١) .    |
| (١٤) سورة المائدة — الآية (٥٤) .    | (٢٠) سورة النساء الآية (١٦٤) .   |
| (١٥) سورة البقرة — الآية (٨) .      | (٢١) سورة مريم الآية (٥٢) .      |

تَزْعُمُونَ ﴿٢٣﴾ وقوله : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٢٤﴾  
 وقوله : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ  
 اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ  
 الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ  
 الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٥﴾ .

إلى أمثال هذه الآيات ، والأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في أسماء الرب تعالى  
 وصفاته ، فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل ، وإثبات وحدانيته  
 بنفى التمثيل ، ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل ، فهذه طريقة الرسل صلوات الله  
 وسلامه عليهم أجمعين .

وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم ، من الكفار والمشركين ، والذين أوتوا الكتاب ،  
 ومن دخل في هؤلاء من الصابئة<sup>(٢٥)</sup> ، والمتفلسفة ، والجهمية<sup>(٢٦)</sup> ، والقرامطة<sup>(٢٧)</sup> ، والباطنية

(٢٢) سورة القصص الآية (٦٢) .

(٢٣) سورة يس الآية (٨٢) .

(٢٤) سورة الحشر الآيات (٢٢ : ٢٤) .

(٢٥) في اللغة : صبأ الرجل إذا مال وزاغ فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزينهم عن نهج الأنبياء قيل لهم  
 الصابئة .

ومدار مذهبهم على التعصب للروحانيين .

والصابئة تدعى أن مذهبها الاكساب .

[الملل والنحل (٥/٢) للشهرستاني]

(٢٦) الجهمية : أصحاب جهنم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبدالله القسري سنة ١٢٤  
 هجرية على الزندقة والإلحاد والجعد أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته والجهمية فرقة ضالة من  
 جهالات المسلمين الجبرية الخالصة التي وافقت المعتزلة في نفي الصفات الأزلية .

[الملل والنحل (٢٦/١) للشهرستاني]

(٢٧) القرامطة : نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء  
 مهملة — وهم مذهب مذموم وكانوا قد ظهوروا في سنة ٢٨١ هجرية في خلافة المعتضد بالله .

وطالت : أيامهم وعظمت شوكتهم وأخافوا السبيل واستولوا على بلاد كثيرة وأخبارهم مستقصاة في التواريخ .

[مقالات الاسلاميين (١٠٠/١) للأشعري] وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي (١٧٣) .

ووفيات الأعيان (٤٥٩/١) ، (٤٥٩/٣) .

[والتاريخ الكبير] لابن الأثير في مواضع كثيرة أولها حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين . [والتنبيه لأبي الحسين

الملطي (٢٦)] .

والحاضرة الإسلامية لآدم متر (٤٥/٢ — ٤٩) وانظر دائرة المعارف «هيوارة» مادة حمدان قرمط .

ونحوهم : فإنهم على ضد ذلك ، يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ، ولا يشبتون إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل ، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان ، يمتنع تحققه في الأعيان .

فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل ؛ فإنهم يمثلونه بالمتنعات ، والمعدومات ، والجمادات ؛ ويعطلون الأسماء والصفات ، تعطيلاً يستلزم نفى الذات .  
فغلاتهم يسلبون عنه النقيضين ، فيقولون : لا موجود ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات ، وإذا وصفوه بالنفى شبهوه بالمعدومات ، فسلبوا النقيضين ، وهذا يمتنع في بداهة العقول ؛ وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب ، وما جاء به الرسول ، فوقعوا في شر مما فروا منه ، فإنهم شبهوه بالمتنعات ، إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين ، كلاهما من المتنعات .

وقد عُلم بالاضطرار : أن الوجود لا يبد له من موجد ، واجب بذاته ؛ غنى عما سواه ؛ قديم أزلي ؛ لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم ، فوصفوه بما يمتنع وجوده ، فضلاً عن الوجوب أو الوجود أو القدم .

وقاربهم طائفة من الفلاسفة وأتباعهم فوصفوه بالسلب والإضافات ، دون صفات الإثبات ، وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق ، وقد علم بصرح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن ، لا فيما خرج عنه من الموجودات . وجعلوا هذه الصفة هي الموصوف ، فجعلوا العلم عين العالم ، مكابرة للقضايا البديهيات ، وجعلوا هذه الصفة الأخرى ، فلم يميزوا بين العلم والقدرة والمشيئة ، جحداً للعلوم الضروريات .

وقاربهم طائفة ثالثة من أهل الكلام ، من المعتزلة ومن أتبعهم ؛ فأثبتوا لله الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات — فمنهم من جعل العليم ، والقدير ؛ والسميع ؛ والبصير ؛ كالأعلام المحضة المترادفات ، ومنهم من قال عليم بلا علم وقدير بلا قدرة ، سميع بصير بلا سميع ولا بصير ، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات .

والكلام على فساد مقالة هؤلاء وبيان تناقضها بصرح المعقول المطابق لصحيح المنقول : مذكور في غير هذه الكلمات .

وهؤلاء جميعهم يفرون من شيء فيقعون في نظيره بل وفي شر منه ، مع ما يلزمهم من

التحريف والتعطيل ، ولو أمعنوا النظر لسوا بين التماثلات ، وفرقوا بين المختلفات ، كما تقتضيه المعقولات ؛ ولكانوا من الذين أوتوا العلم ، الذين يرون أنما أنزل إلى الرسول هو الحق من ربه ، ويهدى إلى صراط العزيز الحميد .

ولكنهم من أهل الجهولات ، المشبهة بالمعقولات ، يفسطون في العقليات ، ويقرمطون في السمعيات .

وذلك أنه قد علم بضرورة العقل أنه لا بد من موجود قديم ، غنى عما سواه ، إذ نحن نشاهد حدوث المحدثات : كالحیوان والمعدن والنبات ، والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممنوع ، وقد علم بالاضطرار أن المحدث لا بد له من محدث والممكن لا بد له من موجد ، كما قال تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾<sup>(٢٨)</sup> فإذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق ولا هم الخالقون لأنفسهم تعين أن لهم خالقاً خلقهم .

وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه ، وما هو محدث ممكن ، يقبل الوجود والعدم : فمعلوم أن هذا موجود ، وهذا موجود ، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا ، بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه ، واتفاقهما في اسم عام : لا يقتضى تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص والتقييد ولا في غيره .

فلا يقول عاقل إذا قيل إن العرش شيء موجود ، وإن البعوض شيء موجود : إن هذا مثل هذا ؛ لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود ، لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه ، بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كلياً ، هو مسمى الاسم المطلق ، وإذا قيل : هذا موجود وهذا موجود ، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره ؛ مع أن الإسلام حقيقة في كل منهما .

ولهذا سمى الله نفسه بأسماء ، وسمى صفاته بأسماء ؛ وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره ، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم ، مضافة إليهم ، توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص ؛ ولم يلزم من اتفاق الاسمين ، وتماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص :

(٢٨) سورة الطور الآية (٣٥) .



اتفاقهما ، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص ، فضلا عن أن يتحد مساهما عند الإضافة والتخصيص .

فقد سمي الله نفسه حياً ، فقال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وسمى بعض عباده حياً ؛ فقال : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾<sup>(٢١)</sup> وليس هنا الحي مثل هذا الحي ، لأن قوله الحي اسم لله مختص به ، وقوله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به ، وإنما يتفان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص ؛ ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ، ولكن العقل يفهم من المطلق قدراً مشتركاً بين المسميين ، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق ، والمخلوق عن الخالق .

ولابد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته ، يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق ، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص : المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه — سبحانه وتعالى .

وكذلك سمي الله نفسه عليماً حليماً ، وسمى بعض عباده عليماً فقال : ﴿ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾<sup>(٢٢)</sup> يعني إسحق ، وسمى آخر حليماً فقال : ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ يعني إسماعيل ، وليس العليم كالعليم ، ولا الحليم كالحليم .

وسمي نفسه سمياً بصيراً ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْقَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾<sup>(٢٣)</sup> . وسمى بعض عباده سمياً بصيراً فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾<sup>(٢٤)</sup> وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير .

وسمي نفسه بالرؤوف الرحيم . فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٢٥)</sup> وسمى بعض عباده بالرؤوف الرحيم فقال : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٢٦)</sup> وليس الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم كالرحيم .

(٢٢) سورة الإنسان الآية (٢) .

(٢٣) سورة البقرة الآية (١٤٣) .

(٢٤) سورة التوبة الآية (١٢٨) .

(٢٩) سورة يونس الآية (٣١) .

(٣٠) سورة الذاريات الآية (٣٠) .

(٣١) سورة النساء الآية (٥٨) .

وسمى نفسه بالملك . فقال : ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ ، وسمى بعض عباده بالملك فقال : ﴿ وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ غَصْبًا ﴾<sup>(٣٥)</sup> ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُورَنِي بِهِ ﴾<sup>(٣٦)</sup> وليس الملك كالملك .

وسمى نفسه بالمؤمن المهيمن ، وسمى بعض عباده بالمؤمن فقال : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾<sup>(٣٧)</sup> وليس المؤمن كالؤمن .

وسمى نفسه بالعزير فقال : ﴿ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾<sup>(٣٨)</sup> وسمى بعض عباده بالعزير . فقال : ﴿ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ ﴾<sup>(٣٩)</sup> وليس العزير كالعزير .

وسمى نفسه الجبار المتكبر ، وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر فقال : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾<sup>(٤٠)</sup> وليس الجبار كالجبار ، ولا المتكبر كالمتكبر ، ونظائر هذا متعددة .

وكذلك سمي صفاته بأسماء ، وسمى صفات عباده بنظير ذلك ، فقال : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾<sup>(٤١)</sup> ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾<sup>(٤٢)</sup> وقال : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾<sup>(٤٣)</sup> . وسمى صفة المخلوق علماً وقوة ، فقال : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾<sup>(٤٤)</sup> وقال : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٤٥)</sup> وقال : ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾<sup>(٤٦)</sup> وقال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾<sup>(٤٧)</sup> وقال : ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾<sup>(٤٨)</sup> وقال : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾<sup>(٤٩)</sup> أى بقوة ، وقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾<sup>(٥٠)</sup> أى ذا القوة وليس العلم كالعلم ، ولا القوة كالقوة .

(٤٣) سورة فصلت الآية (١٥) .  
 (٤٤) سورة الإسراء الآية (٨٥) .  
 (٤٥) سورة يوسف الآية (٧٦) .  
 (٤٦) سورة غافر الآية (٨٣) .  
 (٤٧) سورة الروم الآية (٥٤) .  
 (٤٨) سورة هود الآية (٥٢) .  
 (٤٩) سورة الذاريات الآية (٤٧) .  
 (٥٠) سورة ص الآية (١٧) .

(٣٥) سورة الكهف الآية (٧٩) .  
 (٣٦) سورة يوسف الآية (٥٤) .  
 (٣٧) سورة السجدة الآية (١٨) .  
 (٣٨) سورة الحشر الآية (٢٣) .  
 (٣٩) سورة يوسف الآية (٥١) .  
 (٤٠) سورة غافر الآية (٣٥) .  
 (٤١) سورة البقرة الآية (٢٥٥) .  
 (٤٢) سورة الذاريات الآية (٥٨) .

ووصف نفسه بالمشيئة ووصف عبده بالمشيئة ، فقال : ﴿لَمِن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ  
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥١)</sup> وقال : ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ  
اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۗ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٥٢)</sup> .  
وكذلك وصف نفسه بالإرادة وعبده بالإرادة ، فقال : ﴿ثُرَيْدُونَ غَرَضَ الدُّنْيَا  
وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٥٣)</sup> .

ووصف نفسه بالمحبة ووصف عبده بالمحبة فقال : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ  
وَيُحِبُّونَهُ﴾<sup>(٥٤)</sup> وقال : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٥٥)</sup> .

ووصف نفسه بالرضا ووصف عبده بالرضا ، فقال : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا  
عَنْهُ﴾<sup>(٥٦)</sup> ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد ، ولا إرادته مثل إرادته ، ولا  
محبه مثل محبته ، ولا رضاه مثل رضاه .

وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار ، ووصفهم بالمقت ، فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا يَتَادُونَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَلْفُسُكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ  
سَكَفَرُونَ﴾<sup>(٥٧)</sup> وليس المقت مثل المقت .

وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد ، كما وصف عبده بذلك ، فقال : ﴿وَيَمْكُرُونَ  
وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾<sup>(٥٨)</sup> وقال : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۗ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾<sup>(٥٩)</sup> وليس المكر  
كالمكر ، ولا الكيد كالكيد .

ووصف نفسه بالعمل ، فقال : ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا  
فَهُمْ لَهَا قَالِكُونَ﴾<sup>(٦٠)</sup> ووصف عبده بالعمل فقال : ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
وليس العمل كالعمل .

(٥١) سورة التكويم الآيات (٢٨ ، ٢٩) .

(٥٢) سورة الانسان الآيات (٢٩ ، ٣٠) .

(٥٣) سورة الأنفال الآية (٦٧) .

(٥٤) سورة المائدة الآية (٥٤) .

(٥٥) سورة آل عمران الآية (٣١) .

(٥٦) سورة المجادلة الآية (٢٢) .

(٥٧) سورة غافر الآية (١٠) .

(٥٨) سورة الأنفال الآية (٣٠) .

(٥٩) سورة الطارق الآيات (١٥ ، ١٦) .

(٦٠) سورة يس الآية (٧١) .

(٥) سورة السجدة الآية (١٧) .

ووصف نفسه بالمناداة والمناجاة ، فقال : ﴿ وَتَادِيْتَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتَاهُ نَجِيًّا ﴾<sup>(٦١)</sup> وقال : ﴿ وَيَوْمَ يُتَادِيهِمْ ﴾<sup>(٦٢)</sup> وقال : ﴿ وَتَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ﴾<sup>(٦٣)</sup> ووصف عباده بالمناداة والمناجاة ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٦٤)</sup> وقال : ﴿ إِذَا تَاجَّجْتُمُ الرَّسُولَ ﴾<sup>(٦٥)</sup> وقال : ﴿ إِذَا تَتَاجَّجْتُمْ فَلَا تَتَاجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾<sup>(٦٦)</sup> . وليس المناداة ولا المناجاة كالمناجاة والمناداة .

ووصف نفسه بالتكلم في قوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾<sup>(٦٧)</sup> وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾<sup>(٦٨)</sup> وقوله : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾<sup>(٦٩)</sup> ووصف عبده بالتكلم في قوله : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصْنَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾<sup>(٧٠)</sup> وليس التكلم كالتكلم . ووصف نفسه بالتنبؤ ، ووصف بعض الخلق بالتنبؤ فقال : ﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتَاكَ هَذَا قَالَ تَبَأْنِي الْعِلْمُ الْخَيْرُ ﴾<sup>(٧١)</sup> وليس الإنباء كالإنباء .

ووصف نفسه بالتعليم ، ووصف عبده بالتعليم ، فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ - عَلَّمَ الْقُرْآنَ - خَلَقَ الْإِنْسَانَ - عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾<sup>(٧٢)</sup> وقال : ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾<sup>(٧٣)</sup> وقال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾<sup>(٧٤)</sup> وليس التعليم كالتعليم . وهكذا وصف نفسه بالغضب فقال : ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾<sup>(٧٥)</sup> ووصف

(٦١) سورة مريم الآية (٥٢) .

(٦٢) سورة القصص الآية (٦٢) .

(٦٣) سورة الأعراف الآية (٢٢) .

(٦٤) سورة الحجرات الآية (٤) .

(٦٥) سورة المجادلة الآية (١٢) .

(٦٦) سورة المجادلة الآية (٩) .

(٦٧) سورة النساء الآية (١٦٤) .

(٦٨) سورة الأعراف الآية (١٤٣) .

(٦٩) سورة البقرة الآية (٢٥٣) .

(٧٠) سورة يوسف الآية (٥٤) .

(٧١) سورة التحريم الآية (٣) .

(٧٢) سورة الرحمن الآية (١ : ٤) .

(٧٣) سورة المائدة الآية (٤) .

(٧٤) سورة آل عمران الآية (١٦٤) .

(٧٥) سورة الفتح الآية (٦) .

عبدد بالغضب في قوله : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾<sup>(٧٦)</sup> وليس العضب كالعضب .

ووصف نفسه بأنه استوى على عرشه ، فذكر ذلك في سبع مواضع من كتابه ، أنه استوى على العرش ، ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره في مثل قوله : ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾<sup>(٧٧)</sup> وقوله : ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتِ وَمَنْ مَعَكَ عَلَىٰ الْفُلِّ﴾ وقوله : ﴿وَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْجُودَىٰ﴾<sup>(٧٨)</sup> وليس الاستواء كالاستواء .

ووصف نفسه ببسط اليدين فقال : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا بِمَا قَالُوا بَلَىٰ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾<sup>(٨٠)</sup> .

ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ﴾<sup>(٨١)</sup> وليس اليد كاليد ، ولا البسط كالبسط ؛ وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء والجود : فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه ، ولا جوده كجودهم ، ونظائر هذا كثيرة .

فلا بد من إثبات ما أثبتته الله لنفسه ، ونفى مماثلته بخلقها .

فمن قال : ليس لله علم ، ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ، ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ، ولا ناجى ، ولا استوى : كان معطلا جاحداً ، ممثلاً لله بالمعدومات والجمادات .

ومن قال له علم كعلمي ، أو قوة كقوتي ، أو حب كحبي ، أو رضاء كرضائي أو يدان كيداي أو استواء كاستوائي كان مشبهاً ممثلاً لله بالحيوانات ؛ بل لا بد من إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل .

ويتبين هذا

بأصلين شريفيين .

ومثلين مضرويين ، والله المثل الاعلى

وبخاتمة جامعة

- |                                |                                 |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (٧٩) سورة هود الآية (٤٤) .     | (٧٦) سورة الأعراف الآية (١٥٠) . |
| (٨٠) سورة المائدة الآية (٦٤) . | (٧٧) سورة الزخرف الآية (١٣) .   |
| (٨١) سورة الاسراء الآية (٢٩) . | (٧٨) سورة المؤمنون الآية (٢٨) . |

## إثبات بعض الصفات إثبات للباقي

فأما الاصلان : فأحدهما أن يقال : ( القول في بعض الصفات كالقول في بعض ) فإن كان المخاطب ممن يقول : بأن الله حي بحياة ، عليم بعلم ، قدير بقدره ، سميع بسمع ، بصير يبصر متكلم بكلام ، مريد بإرادة ، ويجعل ذلك كله حقيقة ، وينازع في محبته ورضاه ، وغضبه وكرهته ، فيجعل ذلك مجازاً ، ويفسره إما بالإرادة ، وإما ببعض المخلوقات ، من النعم والعقوبات .

فيقال له : لا فرق بين ما نفيته ، وبين ما أثبتته ، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر ؛ فإن قلت : إن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل .

وإن قلت : إن له إرادة تليق به ؛ كما أن للمخلوق إرادة تليق به ، قيل لك : وكذلك له محبة تليق به ، وللمخلوق محبة تليق به ، وله رضا وغضب يليق به ، وللمخلوق رضا وغضب يليق به .

وإن قلت : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، فيقال له : والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة ، أو دفع مضرة ، فإن قلت : هذه إرادة المخلوق قيل لك : وهذا غضب المخلوق .

وكذلك يلزم القول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته ؛ إن نفى عنه الغضب ، والمحبة ، والرضا ، ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين ؛ فهذا منتف عن السمع والبصر ، والكلام وجميع الصفات .

وإن قال : إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين ؛ فيجب نفيه عنه . قيل له : وهكذا السمع ، والبصر ، والكلام ، والعلم ، والقدرة .

فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبتته .

فإذا قال المعتزلي<sup>(٨٢)</sup> : ليس له إرادة ، ولا كلام قائم به ؛ لأن هذه الصفات لا تقوم إلا بالخلوقات ، فإنه يبين للمعتزلي أن هذه الصفات يتصف بها القديم ، ولا تكون كصفات المحدثات ، فهكذا يقول له المثبتون لسائر الصفات من المحبة والرضا ونحو ذلك .

فإن قال : تلك الصفات أثبتها بالعقل ، لأن الفعل الحادث دل على القدرة ، والتخصيص دل على الإرادة ، والإحكام دل على العلم ، وهذه الصفات مستلزمة للحياة ، والحى لا يخلو عن السمع ، والبصر ، والكلام ، أو ضد ذلك .  
قال له سائر أهل الإثبات : لك جوابان .

أحدهما أن يقال : عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين ، فثبت أن ما سلكت من الدليل العقلي لا يثبت ذلك ، فإنه لا ينفيه .  
وليس لك أن تنفيه بغير دليل ، لأن الناقى عليه الدليل كما على المثبت ، والسمع قد دل عليه ، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي ، فيجب إثبات ما أثبته الدليل ، السالم عن المعارض المقاوم .

---

(٨٢) جاء في مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١٠٤/٢)

(٩٨) هل الإرادة مختارة ؟

واختلفوا - المعتزلة - في الإرادة : هل هي مختارة أم اختيار ليست بمختارة ؟ على مقالين

(١) فقال قوم : هي مختارة كما أنها اختيار ولم يميزوا أن تكون مرادة كما أنها مختارة

(٢) وقال قائلون : هي اختيار وليست بمختارة

(٩٩) هل أفعال الله مختارة ؟

واختلفوا - المعتزلة - في أفعال الله عز وجل : هل هي كلها مختارة أم لا ؟

على أربعة أقاويل :

(١) فقال قائلون : منها ما هو اختيار ومنها ما هو مختار

(٢) وقال بعضهم : كلها مختارة لا باختيار غيرها بل هي اختيار كما كانت مرادة لا بإرادة غيرها وهذا قول

(الجناديين)

(٣) وقال قائلون : ما كان من أفعال الله له ترك كالأعراض فهو مختار وما لا ترك له كالأجسام فهو اختيار وليس بمختار .

(٤) وقال قائلون : ليس كل أفعال العباد مختارة بل منها ما لا يقال إنه مختار وجميعاً لا يقال له اختيار .

وانظر أيضاً : الملل والنحل للشهرستاني

الثاني أن يقال : يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك من العقليات .  
 فيقال نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة ، كدلالة التخصيص على المشيئة ،  
 وإكرام الطائعين<sup>(٨٣)</sup> يدل على محبتهم ، وعقاب الكافرين<sup>(٨٤)</sup> يدل على بغضهم ، كما قد  
 ثبت بالشهادة والخبر : من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه ، والغايات المحمودة في مفعولاته  
 ومأموراته — وهى ما تنتهى إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة — تدل على  
 حكمته البالغة ؛ كما يدل التخصيص على المشيئة ، وأولى : لقوة العلة الغائية ؛ ولهذا كان  
 ما فى القرآن من بيان ما فى مخلوقاته من النعم والحكم : أعظم مما فى القرآن من بيان ما  
 فيها من الدلالة على محض المشيئة .

وان كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء ، كالمعتزلى الذى يقول : أنه حتى  
 عليم قدير ، وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة .

قيل له : لا فرق بين إثبات الأسماء ، وإثبات الصفات ، فإنك إن قلت : إثبات الحياة  
 والعلم والقدرة يقتضى تشبيهاً أو تجسماً ، لأننا لا نجد فى الشاهد متصفاً بالصفات إلا ما  
 هو جسم ، قيل لك : ولا نجد فى الشاهد ما هو مسمى حتى عليم قدير إلا ما هو  
 جسم ، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده فى الشاهد إلا للجسم فانف الأسماء ، بل  
 وكل شيء لأنك لا تجده فى الشاهد إلا للجسم .

فكل ما يحتج به من نفى الصفات يحتج به نافي الأسماء الحسنى ؛ فما كان جواباً  
 لذلك كان جواباً لمثبتى الصفات .

وإن كان المخاطب من الغلاة نفاة الأسماء والصفات ، وقال لا أقول : هو موجود ،

(٨٣) نسوق مثلاً على إكرام الطائعين من القرآن الكريم قال تعالى : وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا قوم  
 اتبعوا المرسلين (٢٠) اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون (٢١) وما لى لأعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون (٢٢)  
 آتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا يتقنون (٢٣) إلى إذا نفى ضلال مبين (٢٤)  
 إن آمنتم برىكم فاسمعون (٢٥) قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون (٢٦) بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين  
 (٢٧) (سورة يس ٢٠ : ٢٧)

(٨٤) قال تعالى فى سورة يس أيضاً .

وما أنزلنا على قومى من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين (٢٨) إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم  
 خامدون (٢٩) يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون (٣٠) ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من  
 القرون أنهم إليهم لا يرجعون (٣١) (سورة يس ٢٨ : ٣١)



ولا حى ، ولا عليم ، ولا قدير ؛ بل هذه الأسماء لمخلوقاته ، إذ هي مجاز ، لأن إثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحى العليم .

قيل له : وكذلك إذا قلت : ليس بموجود ، ولا حى ، ولا عليم ، ولا قدير : كان ذلك أقيح من التشبيه بالموجودات .

فإن قال : أنا أنفى النفى والإثبات . قيل له : فيلزمك التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من المتنتعات ، فإنه يمتنع أن يكون الشيء موجوداً معدوماً ، أو لا موجوداً ولا معدوماً ، ويمتنع أن يكون يوصف ذلك باجتماع الوجود والعدم ، أو الحياة والموت ، أو العلم والجهل ، أو يوصف بنفى الوجود والعدم ، ونفى الحياة والموت ، ونفى العلم والجهل .

فإن قلت إنما يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلاً لهما ، وهذان يتقابلان تقابل العدم والملكة ؛ لا تقابل السلب والإيجاب ، فإن الجدار لا يقال له أعمى ولا بصير ، ولا حى ولا ميت ، إذ ليس بقابل لهما .

قيل لك : أولاً هذا لا يصح فى الوجود والعدم ، فإنهما متقابلان تقابل السلب والإيجاب باتفاق العقلاء ؛ فيلزم من رفع أحدهما ثبوت الآخر .

وأما ما ذكرته من الحياة والموت ، والعلم والجهل : فهذا اصطلاح اصطلمحت عليه المتفلسفة المشاعون ، والاصطلاحات اللفظية ليست دليلاً على نفي الحقائق العقلية ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۗ أَمْوَآتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾<sup>(٨٥)</sup> فسمى الجماد ميتاً ، وهذا مشهور فى لغة العرب وغيرهم .

وقيل لك ثانياً : فما لا يقبل الاتصاف بالحياة والموت والعمى والبصر ونحو ذلك من المتقابلات أنقص مما يقبل ذلك — فالأعمى الذى يقبل الاتصاف بالبصر أكمل من الجماد الذى لا يقبل واحداً منهما ، فأنت فررت من تشبيهه بالحيوانات القابلة لصفات الكمال ، ووصفته بصفات الجمادات التى لا تقبل ذلك .

وأيضاً فما لا يقبل الوجود والعدم : أعظم امتناعاً من القابل للوجود والعدم ؛ بل

(٨٥) سورة النحل — الآيات — (٢٠ ، ٢١)

ومن اجتماع الوجود والعدم ، ونفيهما جميعاً ، فما نفيت عنه قبول الوجود والعدم : كان أعظم امتناعاً مما نفيت عنه الوجود والعدم ، وإذا كان هذا ممتنعاً في صرائح العقول فذاك أعظم امتناعاً ؛ فجعلت الوجود الواجب الذي لا يقبل العدم هو أعظم الممتنعات . وهذا غاية التناقض والفساد .

وهؤلاء الباطنية<sup>(٨٦)</sup> منهم من يصرح برفع النقيضين : الوجود والعدم ؛ ورفعهما كجمعهما . ومن يقول لا أثبت واحداً منهما فامتناعه عن إثبات أحدهما في نفس الأمر لا يمنع تحقق واحد منهما في نفس الأمر ، وإنما هو كجهل الجاهل وسكوت الساكت الذي لا يعبر عن الحقائق . وإذا كان ما لا يقبل الوجود ولا العدم أعظم امتناعاً مما يقدر قبوله لهما — مع نفيهما عنه — فما يقدر لا يقبل الحياة ولا الموت ، ولا العلم ولا الجهل ، ولا القدرة ولا العجز ، ولا الكلام ولا الخرس ، ولا العمى ولا البصر ، ولا السمع ولا الصمم : أقرب إلى المعلوم الممتنع مما يقدر قابلاً لهما — مع نفيهما عنه — وحيث أن نفيهما مع كونه قابلاً لهما أقرب إلى الوجود والممكن ، وما جاز لواجب الوجود — قابلاً — وجب له ؛ لعدم توقف صفاته على غيره ؛ فإذا جاز القبول وجب ؛ وإذا جاز وجود القبول وجب ؛ وقد بسط هذا في موضع آخر . وبين وجوب اتصافه بصفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه .

وقيل له أيضاً : اتفاق المسمين في بعض الأسماء والصفات : ليس هو التشبيه والتثيل ، الذي نفته الأدلة السمعية والعقلية ، وإنما نفت ما يستلزم اشتراكهما فيما يختص به الخالق مما يختص بوجوبه أو جوارزه أو امتناعه ؛ فلا يجوز أن يشركه فيه مخلوق ، ولا يشركه مخلوق في شيء من خصائصه — سبحانه وتعالى — .

وأما ما نفيتة فهو ثابت بالشرع والعقل ، وتسميتك ذلك تشبيهاً وتجسيماً تمويه<sup>(٨٧)</sup>

(٨٦) الباطنية : هي حركة هدم الإسلام من داخله إذ أن رجال هذه الحركة يسمون بأسماء المسلمين وأحياناً يؤدون مشاعر المسلمين من صلاة وصوم وحج وزكاة وبعض النوافل ، لكن الهدف واحد هو الكيد للإسلام وإنهم لما لم يستطيعوا أن يأتوا الإسلام من الخارج فأرادوا أن يقوضوا دعائمه من الداخل لكن تصدى أئمة الهدى والرشاد لهم بالمرصاد وأبانوا زيفهم .

وهذه الحركة لها أسماء وألقاب منها الإسماعيلية والحشيشية «والقرامطة والمردكية والباطنية بالعراق» وبخراسان : التعليمية والملحدة .. قليل منهم أنهم نفاة الصفات حقيقة — معطلة الذات عن جميع الصفات — الملل والنحل للشهرستاني (١٩٣/١)

(٨٧) تمويه : خلداع وغرار وغش

على الجهال ، الذين يظنون أن كل معنى سماه مسم بهذا الاسم يجب نفيه ؛ ولو ساغ هذا : لكان كل مبطل يسمى الحق بأسماء ينفر عنها بعض الناس ليكذب الناس بالحق المعلوم بالسمع والعقل ، وبهذه الطريقة : أفسدت الملاحظة على طوائف الناس عقولهم ، ودينهم ، حتى أخرجوهم إلى أعظم الكفر والجهالة ، وأبلغ الغي والضلالة .

وإن قال نفاة الصفات : إثبات العلم والقدرة والإرادة مستلزم تعدد الصفات ، وهذا تركيب ممتنع . قيل : وإذا قلتم : هو موجود واجب ، وعقل وعاقل ومعقول وعاشق ومعشوق ولذيذ وملئذ ولذة . أفليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا ؟ فهذه معان متعددة متغايرة في العقل ، وهذا تركيب عندهم ، وأنتم تثبتونه وتسمونه توحيداً .

فإن قالوا : هذا توحيد في الحقيقة وليس هذا تركيباً ممتنعاً . قيل لهم : واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة ؛ وليس هو تركيباً ممتنعاً .

وذلك أنه من المعلوم في صريح العقول أنه ليس معنى كون الشيء عالماً هو معنى كونه قادراً ، ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالماً قادراً ، فمن جوز أن تكون هذه الصفة هي الموصوف فهو من أعظم الناس سفسطة<sup>(٨٨)</sup> ، ثم إنه متناقض ، فإنه إن جوز ذلك جاز أن يكون وجود هذا هو وجود هذا . فيكون الوجود واحداً بالعين لا بالنوع ، وحينئذ فإذا كان وجود الممكن هو وجود الواجب كان وجود كل مخلوق يعدم بعدم وجوده ، ويوجد بعدم عدمه : هو نفس وجود الحق القديم الدائم الباقي ، الذي لا يقبل العدم ، وإذا قدر هذا كان الوجود الواجب موصوفاً بكل تشبيه وتجسيم ، وكل نقص وكل عيب ؛ كما يصرح بذلك ( أهل وحدة الوجود )<sup>(٨٩)</sup> الذين طردوا هذا الأصل الفاسد ، وحينئذ فتكون أقوال نفاة الصفات باطلة على كل تقدير .

وهذا باب مطرد ، فإن كل واحد من النفاة لما أخبر به الرسول من الصفات : لا ينفي شيئاً فراراً مما هو محذور إلا وقد أثبت ما يلزمه فيه نظير ما فر منه ، فلا بد في آخر الأمر من أن يثبت موجوداً واجباً قديماً ، متصفاً بصفات تميزه عن غيره ، ولا يكون فيها مماثلاً لخالقه .

(٨٨) سفسطة : الجدل العميق الذي لا هدف من ورائه إلا الجدل وهو نسبة إلى السوفسطائيين .

(٨٩) هم القائلون بوحدة الوجود مثل يحيى الدين بن عرفى والحلاج وعفيف الدين التلمسائى وانظر رسالة الإمام ابن تيمية واسمها حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود ضمن مجموع الرسائل والمسائل المجلد (٤ - ٥)

فيقال له : هكذا القول في جميع الصفات ، وكل ما تثبته من الأسماء والصفات :  
فلا بد أن يدل على قدر تتواطأ فيه المسميات ، ولولا ذلك لما فهم الخطاب ؛ ولكن نعلم  
أن ما اختص الله به ، وامتناز عن خلقه : أعظم مما يخطر بالبال ، أو يدور في الخيال .

## القول بالصفات كالقول بالذات

أن يقال : (القول في الصفات كالقول في الذات) ، فإن الله ليس كمثل شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله . فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات . فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات .

فإذا قال السائل : كيف استوى على العرش<sup>(٩٠)</sup> ؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضى الله عنهما : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عن كيفية بدعة ، لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ، ولا يمكنهم الإجابة عنه . وكذلك إذا قال : كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ؟ قيل له : كيف هو ؟ فإذا قال : لا أعلم كيفيته ، قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله ، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، وهو فرع له وتابع له ، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره ، وتكليمه ، واستوائه ونزوله ، وأنت لا تعلم كيفية ذاته<sup>(٩١)</sup> .

وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء ، فسمعه وبصره وكلامه ، ونزوله واستواؤه : ثابت في نفس الأمر ، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ، ونزولهم واستواؤهم .

وهذا الكلام لازم لهم في العقلية ، وفي تأويل السمعية : فإن من أثبت شيئاً ونفى شيئاً بالعقل — إذا — ألزم فيما نفاه الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة نظير ما يلزمه فيما أثبته ، ولو طولب بالفرق بين المخدور في هذا وهذا : لم يجد بينهما فرقاً .

ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض — الذين يوجبون فيما نفوه : إما

(٩٠) جاء في فصل المقال لابن رشد ص ٣٣: الأشعريون .. يتأولون آية الاستواء وحديث النزول، والخطابة تحمل ذلك على ظاهره، وقد عقد الإمام جلال الدين السيوطي مقارنة بين التفسير والتأويل مقارنة علمية قيمة — النوع السابع والسبعون من الاتقان (٢٢١/٢) .

(٩١) ما نهانا عنه الشارع الحكيم البحث عن ذات الله إنما أمرنا بالتخلق بصفاته

التفويض<sup>(٩٢)</sup> ؛ وإما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ<sup>(٩٣)</sup> — قانون مستقيم . فإذا قيل لهم : لم تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد ؟ لم يكن لهم جواب صحيح ، فهذا تناقضهم في النفي .

وكذا تناقضهم في الإثبات ؛ فإن من تأول النصوص على معنى من المعاني التي يثبتها ، فإنهم إذا صرفوا النص عن المعنى الذي هو مقتضاه إلى معنى آخر : لزمهم في المعنى المصروف إليه ما كان يلزمهم في المعنى المصروف عنه .

فإذا قال قائل : تأويل محبته ورضاه ، وغضبه وسخطه : هو إرادته للثواب والعقاب ؛ كان ما يلزمه في الإرادة نظير ما يلزمه في الحب والمقت ، والرضا والسخط . ولو فسر ذلك بمفعولاته ، وهو ما يخلقه من الثواب والعقاب ، فإنه يلزمه في ذلك نظير ما فر منه ، فإن الفعل لا بد أن يقوم أولا بالفاعل ، والثواب والعقاب المفعول إنما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه ، ويسخطه ويغضبه الميثيب المعاقب ، فهم إن أثبتوا الفعل على مثل الوجه المعقول في الشاهد للعبد مثلوا ، وإن أثبتوه على خلاف ذلك فكذلك الصفات .

---

(٩٢) التفويض : تقول فرضت أمرى لله أى تركته له ، ويقول ابن تيمية عن التفويض في درء تعارض العقل مع النقل الجزء الأول القسم الأول ص ٢٠١ .

وأما التفويض : فإن من المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الاعراض عن فهمه ومعرفته وعقله .

(٩٣) يرى ابن تيمية أن التأويل المقبول هو : ما دل على مراد المتكلم ودرء تعارض العقل مع النقل ج القسم الأول ص ٢٠١ .

## ما يثبت من الصفات .

وأما (الثلاث المضروبان) : فإن الله — سبحانه وتعالى — أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات : من أصناف المطاعم والملابس ، والمناكح والمساكن ؛ فأخبرنا أن فيها لبناً وعسلاً ، وخمراً وماء ، ولحماً وحريراً وذهباً وفضة ، وفاكهة وهوراً وقصوراً . وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء . وإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها هي موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا وليست مماثلة لها ؛ بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى : فالخالق — سبحانه وتعالى — أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق ، ومباينته لمخلوقاته : أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا ، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق ، وهذا بين واضح ، ولهذا افرق الناس في هذا المقام ثلاث فرق :

فالسلف والأئمة وأتباعهم : آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر ، مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة ، وأن مباينة الله لخلقه أعظم .  
والفرق الثاني : الذين أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب ، ونفوا كثيراً مما أخبر به من الصفات ؛ مثل طوائف من أهل الكلام .

والفرق الثالث : نفوا هذا وهذا ، كالقرامطة ، والباطنية ، والفلاسفة أتباع المشائين ، ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر .

ثم إن كثيراً منهم يجعلون الأمر والنهى من هذا الباب ؛ فيجعلون الشرائع المأمور بها ، والمحظورات المنهى عنها : لها تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون منها ، كما يتأولون من الصلوات الخمس ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت . فيقولون : إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم ، وإن صيام رمضان كتمان أسرارهم ، وإن حج البيت السفر إلى شيوخهم ، ونحو ذلك من التأويلات التي يعلم بالاضطرار أنها كذب وافتراء على الرسل

صلوات الله عليهم ، وتحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه ، وإلحاد في آيات الله<sup>(٩٤)</sup> .

وقد يقولون: الشرائع تلزم العامة دون الخاصة ، فإذا صار الرجل من عارفهم ومحققهم وموحدتهم : رفعوا عنه الواجبات ، وأباحوا له المحظورات ، وقد يدخل في المنتسبين إلى التصوف والسلوك من يدخل في بعض هذه المذاهب .

وهؤلاء الباطنية : هم الملاحدة الذين أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى ، وما يحتج به على الملاحدة أهل الإيمان والاثبات : يحتج به كل من كان من أهل الإيمان والاثبات على من يشرك هؤلاء في بعض إلحادهم ، فإذا أثبت الله تعالى الصفات ونفى عنه مماثلة المخلوقات — كما دل على ذلك الآيات البينات — كان ذلك هو الحق الذي يوافق المعقول والمنقول ، ويهدم أساس الإلحاد والضلالات .

والله سبحانه لا تضرب له الأمثال<sup>(٩٥)</sup> التي فيها مماثلة لخلقه ، فإن الله لا مثيل له ؛ بل له « المثل الأعلى » ، فلا يجوز أن يشرك هو والمخلوقات في قياس تمثيل ، ولا في قياس شمول تستوى أفراده ، ولكن يستعمل في حقه المثل الأعلى ، وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أولى به ، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه ، فإذا كان المخلوق منزهاً عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم : فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق ، وإن حصلت موافقة في الاسم .

وهكذا القول في (المثل الثاني) .

وهو أن (الروح) التي فينا — فإنها قد وصفت بصفات ثبوتية وسلبية ، وقد أخرجت النصوص أنها تعرج وتصعد من سماء إلى سماء ، وأنها تقبض من البدن وتسل منه كما تسل الشعرة من العجينة .

والناس مضطربون فيها ؛ فمنهم طوائف من أهل الكلام يجعلونها جزءاً من البدن ، أو صفة من صفاته ، كقول بعضهم : أنها النفس أو الريح التي تردد في البدن ، وقول بعضهم : إنها الحياة أو المزاج ، أو نفس البدن .

(٩٤) هذه المقولات من شطحات الصوفية ومبالغتهم الخارجة عن نطاق العقل والدين .

(٩٥) قال تعالى : ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ . (سورة النحل الآية ٧٤)



ومنهم طوائف من أهل الفلسفة يصفون به واجب الوجود عندهم ، وهي أمور لا يتصف بها إلا ممتنع الوجود ، فيقولون : لا هي داخله في البدن ولا خارجه ، ولا مبيّنة له ولا مداخلة له ، ولا متحركة ولا ساكنة ، ولا تصعد ولا تهبط ، ولا هي جسم ولا عرض .

وقد يقولون : إنها لا تدرك الأمور المعينة والحقائق الموجودة في الخارج وإنما تدرك الأمور الكلية المطلقة .

وقد يقولون : إنها لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا مبيّنة له ولا مداخلة ، وربما قالوا ليست داخله في أجسام العالم ولا خارجه عنها ، مع تفسيرهم للجسم بما لا يقبل الإشارة الحسية ، فيصفونها بأنها لا يمكن الإشارة إليها ، ونحو ذلك من الصفات السلبية ، التي تلحقها بالمعدوم والممتنع<sup>(٩٦)</sup> .

وإذا قيل لهم : إثبات مثل هذا ممتنع في ضرورة العقل ، قالوا : بل هذا ممكن بدليل أن الكليات ممكنة موجودة وهي غير مشار إليها ، وقد غفلوا عن كون الكليات لا توجد كلية إلا في الأذهان لا في العيان ، فيعتمدون فيما يقولونه في المبدأ والمعاد على مثل هذا الخيال ، الذي لا يخفى فساده على غالب الجهال .

واضطراب النفاة والمثبتة في الروح كثير .

وسبب ذلك أن الروح — التي تسمى بالنفس الناطقة عند الفلاسفة — ليست هي من جنس هذا البدن ، ولا من جنس العناصر والمولدات منها ؛ بل هي من جنس آخر يخالف لهذه الأجناس ، فصار هؤلاء لا يعرفونها إلا بالسلوب التي توجب مخالفتها للأجسام المشهودة ، وأولئك يجعلونها من جنس الأجسام المشهودة وكلا القولين خطأ .

وإطلاق القول عليها بأنها جسم أو ليست بجسم يحتاج إلى تفصيل .

فإن لفظ الجسم للناس فيه أقوال متعددة اصطلاحية غير معناه اللغوي .

فإن أهل اللغة يقولون : الجسم هو الجسد والبدن ، وبهذا الاعتبار فالروح ليست

---

(٩٦) واختلف الناس في الروح والنفس على خمسة عشر قولاً ذكرها الأشعري في مقالات الإسلاميين (٢/٢٨) وخلاصة القول الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (سورة الإسراء الآية — ٨٥)

جسماً ؛ ولهذا يقولون : الروح والجسم ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾<sup>(٩٧)</sup> وقال تعالى : ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾<sup>(٩٨)</sup> .

وأما أهل الكلام : فمنهم من يقول الجسم هو الموجود ؛ ومنهم من يقول : هو القائم بنفسه ، ومنهم من يقول : هو المركب من الجواهر المفردة ، ومنهم من يقول : هو المركب من المادة والصورة ، وكل هؤلاء يقولون : أنه مشار إليه إشارة حسية ، ومنهم من يقول : ليس مركباً من هذا ولا من هذا ، بل هو مما يشار إليه ، ويقال : إنه هنا أو هناك ؛ فعلى هذا إن كانت الروح مما يشار إليها ويتبعها بصر الميت — كما قال : صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا خَرَجَتْ تَبِعَهَا البَصَرُ» وَأَنَّهَا تُقْبَضُ وَيُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ — كانت الروح جسماً بهذا الاصطلاح<sup>(٩٩)</sup> .

والمقصود : أن الروح إذا كانت موجودة حية ، عالمة قادرة ، سمیعة بصيرة : تصعد وتنزل ، وتذهب وتجيء ، ونحو ذلك من الصفات ، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديداتها ؛ لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً . والشئ إنما تدرك حقيقته بمشاهدته ، أو مشاهدة نظيره .

فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات . فالخالق أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته ؛ وأهل العقول هم أعجز عن أن يعدوه أو يكيفوه منهم عن أن يعدلوا الروح أو يكيفوها .

فإذا كان من نفى صفات الروح جاحداً معطلاً لها ، ومن مثلها بما يشاهده من المخلوقات جاهلاً ممثلاً لها بغير شكلها ، وهي مع ذلك ثابتة بحقيقة الإثبات ، مستحقة لما لها من الصفات : فالخالق — سبحانه وتعالى — أولى أن يكون من نفى صفاته جاحداً معطلاً ، ومن قاسه بخلقه جاهلاً به ممثلاً ، وهو — سبحانه وتعالى — ثابت بحقيقة الإثبات ، مستحق لما له من الأسماء والصفات .

(٩٧) سورة الناقرون الآية — (٤)

(٩٨) سورة البقرة — الآية (٢٤٧)

(٩٩) يقول أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين (٤/٢) اختلف المتكلمون في الجسم ما هو ؟ على اثني عشرة

مقالة ، فارجع إليها في مقالات الإسلاميين .

## الخاتمة الجامعة

### القاعدة الأولى

أن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفى<sup>(١٠٠)</sup> .  
فالإثبات كإخباره بأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه سميع بصير ،  
ونحو ذلك .

والنفى كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم .  
وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً ، وإلا فمجرد  
النفي ليس فيه مدح ولا كمال ؛ لأن النفي المحض عدم محض ؛ والعدم المحض ليس  
بشيء ؛ وما ليس بشيء فهو كما قيل : ليس بشيء ؛ فضلا عن أن يكون مدحاً أو كلاً .  
ولأن النفي المحض يوصف به المعلوم والممتنع ، والمعلوم والمتنع لا يوصف بمدح ولا  
كمال .

فهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات مدح ، كقوله :  
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾<sup>(١٠١)</sup> إلى قوله : ﴿وَلَا يُؤْوَدُهُ  
حِفْظُهُمَا﴾ فنفي السنة والنوم : يتضمن كمال الحياة والقيام ؛ فهو مبین لكمال أنه الحي  
القيوم ، وكذلك قوله : ﴿وَلَا يُؤْوَدُهُ حِفْظُهُمَا﴾ أى لا يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم  
لكمال قدرته وتمامها ، بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة  
ومشقة ، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته .

وكذلك قوله : ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١٠٢)</sup>  
فإن نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السموات والأرض .

(١٠٠) النفي : هو مالا ينجزم «بلا» وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل - التعريفات للجرجاني (ص ٢١٩) .

(١٠١) سورة البقرة الآية (٢٥٥)

(١٠٢) سورة سبأ الآية (٣)

وكذلك قوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُثُوبٍ﴾<sup>(١٠٣)</sup> فإن نفى مس اللغوب ، الذى هو التعب والإعياء دل على كمال القدرة ونهاية القوة ، بخلاف المخلوق الذى يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه .

وكذلك قوله : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾<sup>(١٠٤)</sup> وإنما نفى الإدراك الذى هو الإحاطة ، كما قاله أكثر العلماء ، ولم ينف مجرد الرؤية ؛ لأن المعلوم لا يرى ، وليس فى كونه لا يرى مدح ؛ إذ لو كان كذلك لكان المعلوم ممدوحاً ، وإنما المدح فى كونه لا يحاط به وإن رأى ؛ كما أنه لا يحاط به وإن علم ، فكما أنه إذا علم لا يحاط به علماً : فكذلك إذا رأى لا يحاط به رؤية .

فكان فى نفى الإدراك من إثبات عظمتة ما يكون مدحاً وصفة كمال ، وكان ذلك دليلاً على إثبات الرؤية لا على نفىها ، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة ، وهذا هو الحق الذى اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها .

وإذا تأملت ذلك : وجدت كل نفى لا يستلزم ثبوتاً هو مما لم يصف الله به نفسه ، فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب : لم يثبتوا فى الحقيقة إلهاً محموداً ، بل ولا موجوداً وكذلك من شاركهم فى بعض ذلك ، كالذين قالوا لا يتكلم أو لا يرى أو ليس فوق العالم ، أو لم يستو على العرش .

ويقولون : ليس بداخل العالم ولا خارجه ، ولا مابين للعالم ولا محايث له ؛ إذ هذه الصفات يمكن أن يوصف بها المعلوم : وليست هى صفة مستلزمة صفة ثبوت .

ولهذا « قال محمود بن سبكتكين » لمن ادعى ذلك فى الخالق : ميز لنا بين هذا الرب الذى تثبته وبين المعلوم . وكذلك كونه لا يتكلم ، أو لا ينزل ، ليس فى ذلك صفة مدح ولا كمال ؛ بل هذه الصفات فيها تشبيه له بالمنقوصات أو المعلومات .

فهذه الصفات : منها ما لا يتصف به إلا المعلوم ، ومنها ما لا يتصف به إلا الجمادات والناقص .

(١٠٣) سورة فى الآية (٣٨) .

(١٠٤) سورة الأنعام الآية (١٠٣) .

فمن قال : لا هو مباين للعالم ولا مداخل للعالم فهو بمنزلة من قال : لا هو قائم بنفسه ولا لغيره ، ولا قديم ولا محدث ، ولا متقدم على العالم ولا مقارن له .

ومن قال : إنه ليس بحى ، ولا ميت ولا سميع ولا بصير ، ولا متكلم : لزمه أن يكون ميتاً أصم أعمى أبكم .

فإن قال : العمى عدم البصر عما من شأنه أن يقبل البصر ، وما لم يقبل البصر كالحائط لا يقال له أعمى ولا بصير .

قيل له : هذا اصطلاح اصطلاحتموه ، وإلا فما يوصف بعدم الحياة و السمع والبصر و الكلام : يمكن وصفه بالموت والعمى ، والخرس والعجمة .

وأيضاً فكل موجود يقبل الاتصاف بهذه الأمور ونقائضها ، فإن الله قادر على جعل الجماد حياً كما جعل عصى موسى حية ابتلعت الجبال والعصى ، وأيضاً فالذى لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات أعظم نقصاً ممن لا يقبل الاتصاف بها مع اتصافه بنقائضها . فالجماد الذى لا يوصف بالبصر ولا العمى ، ولا الكلام ولا الخرس : أعظم نقصاً من الحى الأعمى الأخرس .

فإذا قيل : إن البارى لا يمكن اتصافه بذلك : كان فى ذلك من وصفه بالنقص أعظم مما إذا وصف بالخرس والعمى والصمم ونحو ذلك ؛ مع إنه إذا جعل غير قابل لها كان تشبيهاً له بالجماد الذى لا يقبل الاتصاف بواحد منها . وهذا تشبيه بالجمادات ؛ لا بالحيوانات . فكيف من قال ذلك على غيره مما يزعم أنه تشبيه بالحى .

وأيضاً فنفس نفى هذه الصفات نقص ، كما أن إثباتها كمال ، فالحياة من حيث هى : هى مع قطع النظر عن تعيين الموصوف بها صفة كمال . وكذلك العلم والقدرة . والسمع والبصر ، والكلام والفعل ونحو ذلك ؛ وما كان صفة كمال : فهو سبحانه أحق أن يتصف به من المخلوقات ، فلو لم يتصف به مع اتصاف المخلوق به : لكان المخلوق أكمل منه .

وأعلن أن الجهمية المحضة كالقرامطة ومن ضاهاهم : ينفون عنه تعالى اتصافه بالنقيضين ، حتى يقولون ليس بوجود ولا ليس بوجود ، ولا حى ولا ليس بحى . ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع فى بدائه العقول كالجمع بين النقيضين .

وآخرون وصفوه بالنفى فقط ، فقالوا ليس بجى ولا سميع ولا بصير ؛ وهؤلاء أعظم كفراً من أولئك من وجه وأولئك أعظم كفراً من هؤلاء من وجه ، فإذا قيل لهؤلاء هذا مستلزم وصفه بنقيض ذلك ، كالموت والصمم والبيكم ، قالوا إنما يلزم ذلك لو كان قابلاً لذلك ، وهذا الاعتذار يزيد قولهم فساداً .

وكذلك من ضاهى هؤلاء — وهم الذين يقولون : ليس بداخل العالم ولا خارجه ، إذا قيل هذا ممتنع في ضرورة العقل ، كما إذا قيل : ليس بقديم ولا محدث — ولا واجب ولا ممكن ، ولا قائم بنفسه ، ولا قائم بغيره ، قالوا : هذا إنما يكون إذا كان قابلاً لذلك ، والقبول إنما يكون من المتحيز ، فإذا انتفى التحيز انتفى قبول هذين المتناقضين .

فيقال لهم : علم الخلق بامتناع الخلو من هذين النقيضين هو علم مطلق لا يستثنى منه موجود . والتحيز المذكور : إن أريد به كون الأحياء الموجودة تحيط به فهذا هو الداخل في العالم ؛ وإن أريد به أنه منحاز عن المخلوقات ؛ أى مباين لها متميز عنها فهذا هو الخروج ، فالمتحيز يراد به تارة ما هو داخل العالم ، وتارة ما هو خارج العالم ، فإذا قيل ليس بمتحيز كان معناه ليس بداخل العالم ولا خارجه .

فهم غيروا العبارة ليوهموها من لا يفهم حقيقة قولهم أن هذا معنى آخر ، وهو المعنى الذى علم فساده بضرورة العقل ؛ كما فعل أولئك بقولهم : ليس بجى ولا ميت ، ولا موجود ولا معدوم ، ولا عالم ولا جاهل .

## القاعدة الثانية

أن ما أخبر به الرسول عن ربه فإنه يجب الإيمان به — سواء عرفنا معناه أو لم نعرف — لأنه الصادق المصدوق ؛ فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه .

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصاً في الكتاب والسنة ، متفق عليه بين سلف الأمة .

وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا فليس على أحد ، بل ولا له : أن يوافق أحداً على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده ، فإن أراد حقاً قبل ، وإن أراد باطلاً رد ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه ، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى ، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك .

فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً ، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش ، أو نفس السموات ، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى ، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم .

ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه ، كما فيه إثبات العلو والاستواء ، والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك ، وقد علم أن ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق ، والخالق مبين للمخلوق — سبحانه وتعالى — ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ؛ ولا في ذاته شيء من مخلوقاته .

فيقال لمن نفى الجهة : أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق ؟ فالله ليس داخلًا في المخلوقات ، أم تريد بالجهة ما وراء العالم ؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مبين للمخلوقات .

وكذلك يقال لمن قال : الله في جهة : أتريد بذلك أن الله فوق العالم ؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات ؟ فإن أردت الأول فهو حق ، وإن أردت الثاني فهو باطل .

وكذلك لفظ التحيز : إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر ؛ بل قد وسع كرسية السموات والأرض ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (١٠٥) .

وقد ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال : « يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ ؟ » وفي حديث آخر : « وَإِنَّهُ لَيَدْخُوهَا كَمَا يَدْخُو الصَّبَّانُ بِالْكُرَّةِ » وفي حديث ابن عباس : « مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَحَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ » .

وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات : أى مباين لها منفصل عنها ليس حالا فيها : فهو سبحانه كما قال أئمة السنة : فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه .

(١٠٥) سورة الزمر الآية - ٦٧

(أ) قال السيوطي في الدر المنثور (٢٣٥/٥) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : وذكره

(ب) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن قال ابن عثيمين في تأويل مختلف الحديث (ص ١٤١) ط مكتبة المتنبى ، وهو يناقش الذين يذهبون إلى أن الأصابع أريد بها النعم أو الأعضاء يقول : نحن نقول إن هذا الحديث صحيح وإن الذى ذهبوا إليه في تأويل الأصبع لا يشبه الحديث لأنه عليه السلام قال في دعائه : يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك . فقالت له إحدى أزواجه : أو تخاف يا رسول الله على نفسك فقال : إن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله عز وجل . فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى فهو محفوظ بين نعمتين فلائى شيء دعا بالشئ ؟ ولم احتج على المرأة التى قالت له أنتخاف على نفسك بما يؤكد قولها وكان ينبغى أن لا يخاف إذا كان القلب محروساً بين نعمتين ويذكر بأنه لا يجوز أن تكون الأصبع ههنا نعمة يقول : ولا نقول «أصبع كأصابعنا ولا يد كأيدنا ولا قبضة كقبضاتنا لأن كل شيء منه عز وجل لا يشبه شيئاً منا» إنما يرى إثبات الصفات دون تعطيل أو تشبيه أو تأويل .



### القاعدة الثالثة

إذا قال القائل : ظاهر النصوص مراد أو ظاهرها ليس بمراد .

فإنه يقال : لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك ؛ فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم فلا ريب أن هذا غير مراد ؛ ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها ، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً ، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر أو ضلال ، والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين :

تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ ، حتى يجعلوه محتاجاً إلى تأويل يخالف الظاهر ، ولا يكون كذلك .

وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ ، لاعتقادهم أنه باطل .

(فالأول) كما قالوا في قوله : «عَبْدِي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي» الحديث ، وفي الأثر الآخر : «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ صَافَحَهُ أَوْ قَبَّلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ» وقوله : «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعَيْ مِنَ الرَّحْمَنِ» فقالوا : قد علم أن ليس في قلوبنا أصابع الحق .

فيقال لهم : ما أعطيت النصوص حقها من الدلالة لعلمتم أنها لم تدل إلا على حق . أما (الواحد) فقوله : «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ صَافَحَهُ أَوْ قَبَّلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ» صريح في أن الحجر الأسود ليس هو صفة الله ولا هو نفس يمينه ؛ لأنه قال : «يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ» وقال : «فَمَنْ قَبَّلَهُ وَصَافَحَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ» ومعلوم أن المشبه ليس هو المشبه به .

ففي نفس الحديث بيان أن مستلمه ليس مصافحاً لله ؛ وأنه ليس هو نفس يمينه ؛ فكيف يجعل ظاهره كفراً لأنه محتاج إلى التأويل . مع أن هذا الحديث إنما يعرف عن ابن عباس ؟

وأما الحديث الآخر : فهو في الصحيح مفسراً : « يقول الله: عبدى ! جعتُ فلم تُطعمنى ، فيقول : ربُّ ! كيف أطعمُك وأنت ربُّ العالمين ؟ فيقول : أما علمت أن عبدى. فلاناً جاع فلو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، عبدى ! مرضتُ فلم تُعدنى ، فيقول : ربُّ ! كيف أعوذكُ وأنت ربُّ العالمين ؟ فيقول : أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلو عدته لوجدتني عنده » .

وهذا صريح في أن الله سبحانه لم يمرض ولم يجع ، ولكن مرض عبده وجاع عبده ، فجعل جوعه جوعه ، ومرضه مرضه ، مفسراً ذلك بأنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، ولو عدته لوجدتني عنده ؛ فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج إلى تأويل .

وأما قوله: قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن : فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع ، ولا مماس لها ، ولا أنها في جوفه ، ولا في قول القائل هذا بين يدي ما يقتضى مباشرته ليديه ؟ وإذا قيل : السحاب المسخر بين السماء والأرض لم يقتض أن يكون مماساً للسماء والأرض ، ونظائر هذا كثيرة .

ومما يشبه هذا القول أن يجعل اللفظ نظيراً لما ليس مثله ، كما قيل في قوله ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي ﴾<sup>(١٠٦)</sup> ؟ فقيل هو مثل قوله : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً ﴾<sup>(١٠٧)</sup> ؟ فهذا ليس مثل هذا ؛ لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي ؛ فصار شبيهاً بقوله : ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ وهنا أضاف الفعل إليه فقال : ﴿ لِمَا خَلَقْتَ ﴾ ثم قال : ﴿ بِيَدِي ﴾ .

وأيضاً : فإنه هنا ذكر نفسه المقدسة بصيغة المفرد ، وفي اليمين ذكر لفظ التثنية ، كما في قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾<sup>(١٠٨)</sup> وهناك أضاف الأيدي إلى صيغة الجمع ، فصار كقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾<sup>(١٠٩)</sup> .

وهذا في (الجمع) نظير قوله : ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾<sup>(١١٠)</sup> ، ﴿ وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾<sup>(١١١)</sup> في (المفرد) فالله سبحانه وتعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهراً أو مضمراً ، وتارة

(١٠٩) سورة القمر الآية ١٤  
(١١٠) سورة الملك الآية ١  
(١١١) سورة آل عمران الآية ٢٦

(١٠٦) سورة ص الآية (٧٥) .  
(١٠٧) سورة يس الآية (٧١)  
(١٠٨) سورة المائدة الآية ٦٤

بصيغة الجمع ، كقوله : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾<sup>(١١٢)</sup> وأمثال ذلك .

ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط ؛ لأن صيغة الجمع تقتضى التعظيم الذى يستحقه ؛ وربما تدل على معانى أسمائه .

وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور وهو مقدس عن ذلك ، فلو قال : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَى﴾<sup>(١١٣)</sup> لما كان كقوله : ﴿مَا عَمِلْتَ أَيْدِينَا﴾<sup>(١١٤)</sup> وهو نظير قوله : ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ﴿وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ ولو قال (خلقت) بصيغة الإفراد لكان مفارقاً له ؛ فكيف إذا قال خلقت يدي ؟ بصيغة التثنية .

هذا مع دلالات الأحاديث المستفيضة بل المتواترة وإجماع السلف على مثل ما دل عليه القرآن ، كما هو مبسوط فى موضعه ، مثل قوله : «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا» وأمثال ذلك .

وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع فى معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها — والظاهر هو المراد فى الجميع — فإن الله لما أخبر أنه بكل شىء عليم ، وأنه على كل شىء قدير ، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره ، وإن ظاهر ذلك مراد : كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا وقدرته كقدرتنا .

وكذلك لما اتفقوا على أنه حى حقيقة ، عالم حقيقة ، قادر حقيقة ؛ لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذى هو حى عليم قدير ، فكذلك إذا قالوا فى قوله تعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾<sup>(١١٥)</sup> ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ، وقوله : ﴿لَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾<sup>(١١٦)</sup> أنه على ظاهره لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق ، ولا حباً كحبه ، ولا رضا كرضاه .

فإن كان المستمع يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين لزمه أن لا يكون شىء

(١١٥) سورة المائدة الآية (٥٤)

(١١٦) سورة الفرقان الآية (٥٩)

(١١٢) سورة الفتح الآية ١

(١١٣) سورة ص (٧٥)

(١١٤) سورة ص (٧١)

من ظاهر ذلك مرادا . وان كان يعتقد أن ظاهرها ما يليق بالخالق ويختص به لم يكن له نفى هذا الظاهر ، ونفى أن يكون مراداً إلا بدليل يدل على النفي ؛ وليس في العقل ولا السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات ، فيكون الكلام في الجميع واحداً .

وبيان هذا أن صفاتنا منها ما هي أعيان وأجسام ، وهي أبعاض لنا ، كالوجه ، واليد ؛ ومنها ما هو معان وأعراض ، وهي قائمة بنا : كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة .

ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير : لم يقل المسلمون إن ظاهر هذا غير مراد ، لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا ؛ فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد ، لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا . بل صفة الموصوف تناسبه .

فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين ، فصفاته كذاته ليست كصفات المخلوقين ، ونسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه وليس المنسوب كالمنسوب ، ولا المنسوب إليه كالمنسوب إليه ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» فشبه الرؤية بالرؤية ، ولم يشبه المرئي بالمرئي .

### القاعدة الرابعة

وهو أن كثيرا من الناس يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها ؛ أو أكثرها أو كلها ، أنها تماثل صفات المخلوقين ، ثم يريد أن ينفي ذلك الذى فهمه ، فيقع في (أربعة أنواع) من المخاذير :

(أحدها) كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين ، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل .

(الثاني) أنه إذا جعل ذلك هو مفهوما وعطله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله . فيبقى مع جنائته على النصوص ؛ وظنه السيئ الذى ظنه بالله ورسوله — حيث ظن أن الذى يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل — قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله ، والمعاني الإلهية بجلال الله تعالى .

(الثالث) أنه ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم ؛ فيكون معطلا لما يستحقه الرب .

(الرابع) أنه يصف الرب بتقيض تلك الصفات ، من صفات الأموات والجمادات ، أو صفات المعدومات ، فيكون قد عطل به صفات الكمال التى يستحقها الرب ، ومثله بالمتنقوصات والمعدومات ، وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات ، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات . فيجمع في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل ؛ فيكون ملحداً في أسماء الله وآياته .

(مثال) ذلك أن النصوص كلها دلت على وصف الإله ، بالعلو والقوية على المخلوقات ، واستوائه على العرش — فأما علوه ومباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل الموافق للسمع ؛ وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع . وليس في الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا مباينه ولا مداخله .

فيظن المتوهم أنه إذا وصف بالاستواء على العرش : كان استواؤه كاستواء الإنسان

على ظهور الفلك والأنعام ؛ كقوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ \* لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾ (١١٧) .

فيتخيل له أنه إذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه ، كحاجة المستوى على الفلك والأنعام ، فلو غرقت السفينة لسقط المستوى عليها ولو عثرت الدابة لخر المستوى عليها . فقياس هذا أنه لو عدم العرش لسقط الرب سبحانه وتعالى .

ثم يريد بزعمه أن ينفي هذا فيقول : ليس استواؤه بقعود ولا استقرار ، ولا يعلم أن مسمى القعود والاستقرار يقال فيه ما يقال في مسمى الاستواء ؛ فإن كانت الحاجة داخلية في ذلك ؛ فلا فرق بين الاستواء والقعود والاستقرار ، وليس هو بهذا المعنى مستوياً ولا مستقراً ولا قاعداً ، وإن لم يدخل في مسمى ذلك إلا ما يدخل في مسمى الاستواء فإثبات أحدهما ونفي الآخر تحكم .

وقد علم أن بين مسمى الاستواء والاستقرار والقعود فروقاً معروفة (١١٨)

ولكن المقصود هنا أن يعلم خطأ من ينفي الشيء مع إثبات نظيره ، وكأن هذا الخطأ من خطئه في مفهوم استوائه على العرش ، حيث ظن أنه مثل استواء الإنسان على ظهور الأنعام والفلك ، وليس في هذا اللفظ ما يدل على ذلك ؛ لأنه أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة كما أضاف إليه سائر أفعاله وصفاته .

فذكر أنه خلق ثم استوى ، كما ذكر أنه قدر فهدى ، وأنه بنى السماء بأيد ، وكما ذكر أنه مع موسى وهارون يسمع ويرى وأمثال ذلك .

فلم يذكر استواء مطلقاً يصلح للمخلوق ، ولا عاماً يتناول المخلوق . كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته ، وإنما ذكر استواء أضافه إلى نفسه الكريمة .

فلو قدر — على وجه الفرض الممتنع — أنه هو مثل خلقه — تعالى عن ذلك — لكان استواؤه مثل استواء خلقه ، أما إذا كان هو ليس مماثلاً لخلقه بل قد علم أنه الغنى عن الخلق ، وأنه الخالق للعرش ولغيره ، وأن كل ما سواه مفتقر إليه وهو الغنى عن

(١١٧) سورة الزخرف الآيات ١٢ - ١٣ .

(١١٨) فروق في الدلالة فالاستواء يفيد الاستعلاء والتمكن والاستقرار يفيد الثبوت والتمكن والقعود لا يكون إلا عن وقوف

كل ما سواه ، وهو لم يذكر إلا استواء يخصه ، لم يذكر استواء يتناول غيره ولا يصلح له — كما لم يذكر في علمه وقدرته ورؤيته وسمعه وخلقه إلا ما يختص به — فكيف يجوز أن يتوهم أنه إذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه ، وأنه لو سقط العرش لخر من عليه ؟ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

هل هذا إلا جهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه ، أو ظنه ظاهر اللفظ ومدلوله ، أو جَوَز ذلك على رب العالمين الغنى عن الخلق ؟

بل لو قدر أن جاهلاً فهم مثل هذا وتوهمه ليين له أن هذا لا يجوز ، وأنه لم يدل اللفظ عليه أصلاً ، كما لم يدل على نظائره في سائر ما وصف به الرب نفسه .

فلما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾<sup>(١١٩)</sup> فهل يتوهم متوهم أن بناء مثل بناء آدمي المحتاج ، الذي يحتاج إلى زنبيل ومجارف وضرب لبن وجبَل طين وأعوان ؟

ثم قد علم أن الله تعالى خلق العالم بعضه فوق بعض ، ولم يجعل عاليه مفتقراً إلى سافله ، فالهواء فوق الأرض وليس مفتقراً إلى أن تحمله الأرض ، والسحاب أيضاً فوق الأرض وليس مفتقراً إلى أن تحمله ، والسماوات فوق الأرض وليست مفتقرة إلى حمل الأرض لها ؛ فالعلی الأعلى رب كل شيء ومليكه إذا كان فوق جميع خلقه : كيف يجب أن يكون محتاجاً إلى خلقه أو عرشه ؟ أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار وهو ليس بمستلزم في المخلوقات ؟ وقد علم أن ما ثبت للمخلوق من الغنى عن غيره فالخالق سبحانه وتعالى أحق به وأولى .

وكذلك قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّمَاءَ أَنْ يَخْسَفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾<sup>(١٢٠)</sup> من توهم أن مقتضى هذه الآية أن يكون الله في داخل السماوات فهو جاهل ضال بالاتفاق ، وإن كنا إذا قلنا : إن الشمس والقمر في السماء يقتضى ذلك ، فإن حرف (في) <sup>(١٢١)</sup> متعلق بما قبله وبما بعده — فهو بحسب المضاف إليه .

(١١٩) سورة الذاريات الآية ٤٧ .

(١٢٠) سورة الملك الآية ١٦ .

(١٢١) حرف (في) حرف جر له عشرة معان ذكرها ابن هشام في المغني (١٤٤/١)

ولهذا يفرق بين كون الشيء في المكان ، وكون الجسم في الحيز ، وكون العرض في الجسم ، وكون الوجه في المرآة ، وكون الكلام في الورق ، فإن لكل نوع من هذه الأنواع خاصة يتميز بها عن غيره ، وإن كان حرف ( في ) مستعملا في ذلك .  
 فلو قال قائل : العرش في السماء أو في الأرض ؟ ل قيل في السماء ، ولو قيل : الجنة في السماء أم في الأرض ؟ ل قيل الجنة في السماء ؛ ولا يلزم من ذلك أن يكون العرش داخل السموات ، بل ولا الجنة .

فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ » فهذه الجنة سقفا الذي هو العرش فوق الأفلاك . مع أن الجنة في السماء يراد به العلو ، سواء كان فوق الأفلاك أو تحتها ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ (١٢٣) وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ (١٢٣) .

ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلى الأعلى ؛ وأنه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله : إنه في السماء أنه في العلو ، وأنه فوق كل شيء .  
 وكذلك الجارية لما قال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء ، إنما أرادت العلو ، مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها ، وإذا قيل : العلو فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها ، فما فوقها كلها هو في السماء ، ولا يقتضى هذا أن يكون هناك ظرف وجودى يحيط به ، إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله .

كما لو قيل : العرش في السماء ، فإنه لا يقتضى أن يكون العرش في شيء آخر موجود مخلوق ، وإن قدر أن السماء المراد بها الأفلاك : كان المراد أنه عليها ، كما قال : ﴿ وَلَا أَصْلَبُكُمْ فِي جَدُوعِ النَّخْلِ ﴾ وكما قال : ﴿ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (١٢٤) وكما قال : ﴿ فَاسْيَحُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (١٢٥) ويقال : فلان في الجبل ، وفي السطح ، وإن كان على أعلى شيء فيه .

(١٢٢) سورة الحج الآية (١٥) .

(١٢٣) سورة الفرقان الآية (٤٨) .

(١٢٤) سورة آل عمران الآية (١٣٧) .

(١٢٥) سورة التوبة الآية (٢) .



## القاعدة الخامسة

إننا نعلم لما أخبرنا به من وجه دون وجه .

فإن الله قال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ  
إِحْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾<sup>(١٢٦)</sup> وقال : ﴿ أَقَلَّمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ ﴾<sup>(١٢٧)</sup> وقال : ﴿ كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ  
إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(١٢٨)</sup> وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ  
الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾<sup>(١٢٩)</sup> .

فأمر بتدبير الكتاب كله .

وقد قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ  
الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ  
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ  
مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .

وجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف على قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا  
اللَّهُ ﴾ وهذا هو المأثور عن أبي بن كعب ، وابن مسعود ، وابن عباس وغيرهم<sup>(١٣٠)</sup> .

وروى عن ابن عباس أنه قال : التفسير على أربعة أوجه ، تفسير تعرفه العرب من  
كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا  
الله ، من ادعى علمه فهو كاذب .

(١٢٦) سورة النساء الآية (٨٢) .

(١٢٧) سورة المؤمنون الآية (٦٨) .

(١٢٨) سورة ص الآية (٢٩) .

(١٢٩) سورة محمد الآية (٢٤) .

(١٣٠) جاء في تفسير فتح القدير (٣١٥/١) للشركاني قال : وقد اختلف أهل العلم في قوله «والراسخون في العلم» هل هو كلام مقطوع عما قبله وأن الكلام تم عند قوله «إلا الله» هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وأبي الشعثاء وأبي نبيك وغيرهم وهو مذهب الكسائي والفراء والأخفش وأبي عبيد وحكاه ابن جرير الطبري عن مالك واختاره وحكاه الخطابي عن ابن مسعود وأبي بن كعب قال : وإنما روى عن جماعة أنه نسق الراسخين على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه .

وقد روى عن مجاهد وطائفة : أن المراسخين في العلم يعلمون تأويله . وقد قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته ، أقره عند كل آية وأسأله عن تفسيرها . ولا منافاة بين القولين عند التحقيق .

فإن لفظ (التأويل) قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملا في ثلاثة معان :

(أحدها) : وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله — أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ؛ لدليل يقتضيه به ، وهذا هو الذى عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات ، وترك تأويلها ؛ وهل ذلك محمود أو مذموم ، أو حق أو باطل ؟

(الثاني) : أن التأويل بمعنى التفسير ، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن ، كما يقول ابن جرير ، وأمثاله — من المصنفين في التفسير — واختلف علماء التأويل ، ومجاهد إمام المفسرين ؛ قال الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهما ، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به معرفة تفسيره .

(الثالث) من معاني التأويل : هو الحقيقة التى يؤول إليها الكلام<sup>(١٣١)</sup> ، كما قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾<sup>(١٣٢)</sup>

فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون : من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك ، كما قال الله تعالى في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته ، قال : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾<sup>(١٣٣)</sup> فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا .

الثاني : هو تفسير الكلام ، وهو الكلام الذى يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه ، أو تعرف علته أو دليله .

وهذا (التأويل الثالث) هو عين ما هو موجود في الخارج ، ومنه قول عائشة : كان

(١٣١) ذكر معاني كثيرة للتأويل للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في «النوع السابع والسبعون» في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه في كتابه الاتقان (٢/٢٢١)

(١٣٢) سورة الأعراف الآية ٥٣

(١٣٣) سورة يوسف الآية — ١٠٠

النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك ، اللهم ربنا وبمحمدك ، اللهم اغفر لي » يتأول القرآن يعنى قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ (١٣٤) .

وقول سفيان بن عيينة : السنة هي تأويل الأمر والنهي ، فإن نفس الفعل المأمور به : هو تأويل الأمر به ، ونفس الموجود الخير عنه ، هو تأويل الخير ، والكلام خير وأمر . ولهذا يقول أبو عبيد وغيره : الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة ، كما ذكروا ذلك في تفسير اشتغال الصماء ، لأن الفقهاء يعلمون تفسير ما أمر به ونهى عنه ؛ لعلمهم بمقاصد الرسول ﷺ ، كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة ؛ ولكن تأويل الأمر والنهي لا بد من معرفته ، بخلاف تأويل الخير .

إذا عرف ذلك : فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات ، هو حقيقة لنفسه المقدسة ، المتصفة بما لها من حقائق الصفات ، وتأويل ما أخبر الله به تعالى من الوعد والوعيد ، هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد .

ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه ، لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر ، فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا ، كما أخبر أن في الجنة لحماً ولبناً ، وعسلاً وخمراً ونحو ذلك ، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظاً ومعنى ؛ ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته .

فأسماء الله تعالى وصفاته أولى ، وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ، ولا حقيقته كحقيقته .

والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد ، ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد ؛ مع العلم بالفارق المميز ، وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد ، وفي الغائب ما لا عين رأت ولا أذن

---

(١٣٤) سورة النصر الآية (٣)

قال الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في الدر المنثور (٤٠٨/٣ ط المعرفة) أخرج عبد الرزاق وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة وذكر الحديث .

سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فنحن إذا أخبرنا الله بالغيب الذى اختص به : من الجنة والنار علمنا معنى ذلك وفهمنا ما أريد منا فهمه بذلك الخطاب وفسرنا ذلك .  
وأما نفس الحقيقة المخبر عنها مثل التى لم تكن بعد ؛ وإنما تكون يوم القيامة فذلك من التأويل الذى لا يعلمه إلا الله .

ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قالوا : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ومن الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا الإيمان .

فبين أن الاستواء معلوم ، وأن كيفية ذلك مجهول ، ومثل هذا يوجد كثيراً فى كلام السلف والأئمة : ينفون علم العباد بكيفية صفات الله ، وأنه لا يعلم كيف الله إلا الله ، فلا يعلم ما هو إلا هو ، وقد قال النبي ﷺ : « لَا أُخْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَلْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ » وقال فى الحديث الآخر : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ » وهذا الحديث فى المسند وصحيح أبى حاتم ، وقد أخبر فيه أن الله من الأسماء به فى علم الغيب عنده .

فمعانى هذه الأسماء التى استأثر بها فى علم الغيب عنده لا يعلمها غيره .

والله سبحانه أخبرنا أنه عليم قدير ، سميع بصير ، غفور رحيم ؛ إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته . فنحن نفهم معنى ذلك ، ونميز بين العلم والقدرة ، وبين الرحمة والسمع والبصر ، ونعلم أن الأسماء كلها اتفقت فى دلالتها على ذات الله ، مع تنوع معانيها ، فهى متفقة متواطئة من حيث الذات ، متباينة من جهة الصفات .  
وكذلك أسماء النبي ﷺ ، مثل محمد وأحمد والمأحى والحاشى والعاقب .  
وكذلك أسماء القرآن مثل القرآن والفرقان والهدى والنور والتنزيل والشفاء وغير ذلك (١٣٥) .

(١٣٥) ذكر الحافظ جلال الدين السيوطى فى الاتقان (٦٧/١) النوع (١٧) ما قاله أبو المعال عزيرى بن عبد الملك المعروف بشيدلة بضم عين عزيرى فى [كتاب البرهان] اعلم أن الله سعى القرآن بخمسة وخمسين (٥٥) اسماً مثل :

ومثل هذه الأسماء تنازع الناس فيها ، هل هي من قبيل المترادفة — لاتحاد الذات — أو من قبيل المتباينة لتعدد الصفات ؟ كما إذا قيل : السيف والصارم والمهند ، وقصد بالصارم معنى الصرم ، وفي المهند النسبة إلى الهند ؛ والتحقيق أنها مترادفة في الذات متباينة في الصفات .

وبما يوضح هذا أن الله وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه متشابه ، وفي موضع آخر جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه ، فينبغي أن يعرف الإحكام والتشابه الذي يعمه ؛ والإحكام والتشابه الذي يخص بعضه ، قال الله تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾<sup>(١٣٦)</sup> فأخبر أنه أحكم آياته كلها ، وقال تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا﴾<sup>(١٣٧)</sup> فأخبر أنه كله متشابه .

والحكم هو الفصل بين الشيعين ، فالحكم يفصل بين الخصمين ، والحكم فصل بين المتشابهات ، علماً وعملاً ، إذ ميز بين الحق والباطل ، والصدق والكذب ، والنافع والضار ، وذلك يتضمن فعل النافع وترك الضار ، فيقال : حكمت السفية وأحكمتها ، إذا أخذت على يديه ، وحكمت الدابة وأحكمتها ، إذا جعلت لها حكمة ، وهو ما أحاط بالحنك من اللجام ، وإحكام الشيء إتقانه .

فإحكام الكلام إتقانه بتميز الصدق من الكذب في أخباره ، وتميز الرشد من الغي في أوامره ، والقرآن كله محكم بمعنى الإتيان ، فقد سماه الله حكيماً بقوله : ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(١٣٨)</sup> فالحكيم بمعنى الحاكم ؛ كما جعله يقص بقوله : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْصُرُ عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(١٣٩)</sup> . وجعله مفتياً في قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ يُفَيِّكُم فِيهِنَّ وَمَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾<sup>(١٤٠)</sup> أى ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن . وجعله هادياً ومبشراً في قوله : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْرَبُ وَيُنشُرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(١٤١)</sup> .

القرآن — الكتاب والمبين والنور والفرقان وحبل وبشرى وتنزيلاً وبصائر وعدلاً بشيراً ونذيراً .... الخ وذكر الآيات التي تشير إلى هذه المعاني لكنني قلت في كتابي «الرحمة في القرآن الكريم» أن معظم هذه صفات لشيء واحد هو القرآن الكريم .

- |                             |                                 |
|-----------------------------|---------------------------------|
| (١٣٦) سورة هود الآية (١)    | (١٣٩) سورة النمل الآية (٧٦) .   |
| (١٣٧) سورة الزمر الآية (٢٣) | (١٤٠) سورة النساء الآية (١٢٧) . |
| (١٣٨) سورة يونس الآية (١)   | (١٤١) سورة الإسراء الآية (٩)    |

وأما التشابه الذى يعمه فهو ضد الاختلاف المنفى عنه فى قوله : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ  
غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١٤٢)</sup> وهو الاختلاف المذكور فى قوله : ﴿إِن كُنْتُمْ  
لِنَفْسِ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ . يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾<sup>(١٤٣)</sup> .

فالتشابه هنا : هو تماثل الكلام وتناسبه : بحيث يصدق بعضه بعضاً ؛ فإذا أمر بأمر لم  
يأمر بنقيضه فى موضع آخر ؛ بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته ؛ وإذا نهى عن شئ لم  
يأمر به فى موضع آخر ، بل ينهى عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته ، إذا لم يكن هناك  
نسخ .

وكذلك إذا أخبر بشئ لم يخبر بنقيض ذلك ، بل يخبر بشئته أو بشئوت  
ملزوماته ، وإذا أخبر بنفى شئ لم يثبت ، بل ينفيه أو ينفى لوازمه ، بخلاف القول  
المختلف الذى يتقضى بعضه بعضاً ، فيثبت الشئ تارة وينفيه أخرى ، أو يأمر به وينهى عنه  
فى وقت واحد ، ويفرق بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر .  
فالأقوال المختلفة هنا : هى المتضادة . والمتشابهة : هى المتوافقة .

وهذا التشابه يكون فى المعانى وإن اختلفت الألفاظ ، فإذا كانت المعانى يوافق بعضها  
بعضاً ، ويعضد بعضها بعضاً ، ويناسب بعضها بعضاً ، ويشهد بعضها لبعض ،  
ويقتضى بعضها بعضاً : كان الكلام متشابهاً ؛ بخلاف الكلام المتناقض الذى يضاد بعضه  
بعضاً .

فهذا التشابه العام : لا ينافى الإحكام العام ؛ بل هو مصدق له ، فإن الكلام المحكم  
المتقن يصدق بعضه بعضاً لا يناقض بعضه بعضاً ، بخلاف الإحكام الخاص ؛ فإنه ضد  
التشابه الخاص ، والتشابه الخاص هو مشابهة الشئ لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه  
آخر ، بحيث يشبهه على بعض الناس أنه هو أو مثله وليس كذلك .

والإحكام هو الفصل بينهما ، بحيث لا يشبه أحدهما بالآخر ، وهذا التشابه إنما  
يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما .

ثم من الناس من لا يهتدى للفصل بينهما فيكون مشتبهاً عليه ، ومنهم من يهتدى إلى  
ذلك ، فالتشابه الذى لا يتميز معه قد يكون من الأمور النسبية الإضافية ، بحيث يشبهه

(١٤٢) سورة النساء الآية (٨٢) .

(١٤٣) سورة النازيات الآيتان (٨ ، ٩) .

على بعض الناس دون بعض ، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه ، كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه في الدنيا فظن أنه مثله ، فعلم العلماء أنه ليس مثله وإن كان مشبهاً له من بعض الوجوه .

ومن هذا الباب الشبه التي يضل بها بعض الناس ، وهي ما يشتبه فيها الحق والباطل ، حتى تشتبه على بعض الناس ؛ ومن أرقى العلم بالفصل بين هذا وهذا لم يشتبه عليه الحق بالباطل ، والقياس الفاسد إنما هو من باب الشبهات ، لأنه تشبيه للشيء في بعض الأمور بما لا يشبه فيه .

فمن عرف الفصل بين الشيعين : اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه والقياس الفاسد ؛ وما من شيئين إلا ويجتمعان في شيء ويفترقان في شيء ، فبينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه ، فلهذا كان ضلال بني آدم من قبل التشابه ، والقياس الفاسد لا ينضبط كما قال الإمام أحمد : أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل والقياس ؛ فالتأويل في الأدلة السمعية ، والقياس في الأدلة العقلية ، وهو كما قال ، والتأويل الخطأ إنما يكون في الألفاظ المتشابهة ، والقياس الخطأ إنما يكون في المعاني المتشابهة .

وقد وقع بنو آدم في عامة ما يتناولها هذا الكلام من أنواع الضلالات ، حتى آل الأمر إلى من يدعى التحقيق والتوحيد والعرفان منهم إلى أن اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود ، فظنوا أنه هو ، فجعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق ، مع أنه لا شيء أبعد من عن مماثلة شيء ، وأن يكون إياه أو متحداً به ؛ أو حالاً فيه ، من الخالق مع المخلوق .

فمن اشتبه عليه وجود الخالق بوجود المخلوقات كلها ، حتى ظنوا وجودها وجوده ؛ فهم أعظم الناس ضلالاً من جهة الاشتباه .

وذلك أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود ، فرأوا الوجود واحداً ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع .

وآخرون توهموا أنه إذا قيل : الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم التشبيه والتركيب ، فقالوا : لفظ الوجود مقول بالاشتراك اللفظي ، فخالفوا ما اتفق عليه العقلاء مع اختلاف أصنافهم ؛ من أن الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث ، ونحو ذلك من أقسام الموجودات .

وطائفة ظنت أنه إذا كانت الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم أن يكون في الخارج عن الأذهان موجود مشترك فيه ، وزعموا أن في الخارج عن الأذهان كليات مطلقة ، مثل وجود مطلق ، وحيوان مطلق ، وجسم مطلق ونحو ذلك ، فخالقوا الحس والعقل والشرع ، وجعلوا ما في الأذهان ثابتاً في الأعيان وهذا كله من نوع الاشتباه .  
ومن هداه الله فرق بين الأمور وإن اشتركت من بعض الوجوه ، وعلم ما بينهما من الجمع والفرق ، والتشابه والاختلاف ؛ وهؤلاء لا يضلون بالمتشابه من الكلام ، لأنهم يجمعون بينه وبين المحكم الفارق الذي يبين ما بينهما من الفصل والافتراق .

وهذا كما أن لفظ (إننا) و (نحن) وغيرهما من صيغ الجمع يتكلم بها الواحد له شركاء في الفعل ، ويتكلم بها الواحد العظيم الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد ، وله أعوان تابعون له ؛ لا شركاء له . فإذا تمسك النصراني بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الدُّكْرُ ﴾<sup>(١٤٤)</sup> ونحوه على تعدد الآلهة ، كان المحكم كقوله تعالى : ﴿ وَالْهَيْكَمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾<sup>(١٤٥)</sup> ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحداً يزيل ما هناك من الاشتباه ؛ وكان ما ذكره من صيغة الجمع مبيناً لما يستحقه من العظمة والأسماء والصفات وطاعة المخلوقات من الملائكة وغيرهم .

وأما حقيقة ما دل عليه ذلك من حقائق الأسماء والصفات ، وماله من الجنود الذين يستعملهم في أفعاله ، فلا يعلمهم إلا هو ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾<sup>(١٤٦)</sup> وهذا من تأويل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، بخلاف الملك من البشر إذ قال : قد أمرنا لك بعطاء ، فقد علم أنه هو وأعوانه ، مثل كاتبه وحاجبه وخدامه ونحو ذلك أمروا به ، وقد يعلم ما صدر عنه ذلك الفعل من اعتقاداته وإراداته ونحو ذلك .

والله — سبحانه وتعالى — لا يعلم عباده الحقائق التي أخبر عنها من صفاته وصفات اليوم الآخر ، ولا يعلمون حقائق ما أراد بخلقه وأمره من الحكمة ولا حقائق ما صدرت عنه من المشيئة والقدرة .

(١٤٤) سورة الحجر الآية (٩) .

(١٤٥) سورة البقرة الآية (١٦٣) .

(١٤٦) سورة المدثر الآية (٣١) .



وبهذا يتبين أن التشابه يكون في الألفاظ المتواطئة ، كما يكون في الألفاظ المشتركة التي ليست بمتواطئة ، وإن زال الاشتباه بما يميز أحد النوعين : من إضافة أو تعريف ، كما إذا قيل : ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ﴾<sup>(١٤٧)</sup> فهناك قد خص هذا الماء بالجنة ، فظهر الفرق بينه وبين ماء الدنيا .

لكن حقيقة ما امتاز به ذلك الماء غير معلوم لنا ، وهو مع ما أعده الله لعباده الصالحين — مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر — من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله .

وكذلك مدلول أسمائه وصفاته التي يختص بها ، التي هي حقيقة لا يعلمها إلا هو ، ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد وغيره ينكرون على الجهمية وأمثالهم — من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه — تأويل ما تشابه عليهم من القرآن على غير تأويله ، كما قال أحمد : في كتابه الذي صنفه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأويله على غير تأويله .

وإنما ذمهم لكونهم تأولوه على غير تأويله ، وذكر في ذلك ما يشبه عليهم معناه ، وإن كان لا يشبه على غيرهم ، وذمهم على أنهم تأولوه على غير تأويله ، ولم ينف مطلق لفظ التأويل كما تقدم : من أن لفظ التأويل يراد به التفسير المبين لمراد الله به ، فذلك لا يعاب بل يحمد ، ويراد بالتأويل الحقيقة التي استأثر الله بعلمها ، فذاك لا يعلمه إلا هو ، وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضوع .

ومن لم يعرف هذا : اضطربت أقواله ، مثل طائفة يقولون أن التأويل باطل ، وأنه يجب إجراء اللفظ على ظاهره ، ويحتجون بقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ويحتجون بهذه الآية على إبطال التأويل ، وهذا تناقض منهم ؛ لأن هذه الآية تقتضي أن هناك تأويلاً لا يعلمه إلا الله ، وهم ينفون التأويل مطلقاً .

وجهة الغلط أن التأويل الذي استأثر الله بعلمه هو الحقيقة التي لا يعلمها إلا هو .  
وأما التأويل المذموم والباطل<sup>(١٤٨)</sup> : فهو تأويل أهل التحريف والبدع ، الذين يتأولونه

(١٤٧) سورة عمده الآية (١٥) .

(١٤٨) يقول ابن تيمية في حرة تعارض العقل مع النقل (١/٢٠١ القسم الأول) فالتأويل إن لم يكن مقصوده معرفة

على غير تأويله ، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك ، ويدعون أن في ظاهره من المخدور ما هو نظير المخدور اللازم فيما أثبتوه بالعقل ، ويصرفونه إلى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه ، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه ، فإن كان الثابت حقاً ممكناً كان المنفى مثله ، وإن كان المنفى باطلاً ممتنعاً كان الثابت مثله .

وهؤلاء الذين ينفون التأويل مطلقاً ، ويحتجون بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ قد يظنون أننا خوطبنا في القرآن بما لا يفهمه أحد ؛ أو بما لا معنى له ، أو بما لا يفهم منه شيء .

وهذا مع أنه باطل فهو متناقض ، لأننا إذا لم نفهم منه شيئاً لم يجوز لنا أن نقول له تأويل يخالف الظاهر ولا يوافقته ؛ لإمكان أن يكون له معنى صحيح ، وذلك المعنى الصحيح : لا يخالف الظاهر المعلوم لنا ، فإنه لا ظاهر له على قولهم فلا تكون دلالة على ذلك المعنى دلالة على خلاف الظاهر ، فلا يكون تأويلاً .

ولا يجوز نفى دلالة على معان لا نعرفها على هذا التقدير .

فإن تلك المعاني التي دل عليها قد لا نكون عارفين بها ، ولأننا إذا لم نفهم اللفظ ومدلوله فلأن لا نعرف المعاني التي لم يدل عليها اللفظ أولى ؛ لأن إشعار اللفظ بما يراد به أقوى من إشعاره بما لا يراد به ؛ فإذا كان اللفظ لا إشعار له بمعنى من المعاني ولا يفهم منه معنى أصلاً لم يكن مشعراً بما أريد به ، فلأن لا يكون مشعراً بما لم يرد به أولى .

فلا يجوز أن يقال : إن هذا اللفظ متأول ، بمعنى أنه مصروف عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، فضلاً عن أن يقال : إن هذا التأويل لا يعلمه إلا الله .

اللهم إلا أن يراد بالتأويل ما يخالف ظاهره المختص بالخلق .

فلا ريب أن من أراد بالظاهر هذا لا بد أن يكون له تأويل يخالف ظاهره . لكن إذا قال هؤلاء : إنه ليس لها تأويل يخالف الظاهر ، أو إنها تجرى على المعاني الظاهرة منها كانوا متناقضين .

---

مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يتحملة من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب التحريف والإلحاد لا من باب التفسير وبيان المراد .

وإن أرادوا بالظاهر هنا معنى ، وهناك معنى : في سياق واحد من غير بيان كان تليسياً .

وإن أرادوا بالظاهر مجرد اللفظ أى تجرى على مجرد اللفظ الذى يظهر من غير فهم لمعناه كان إبطاهم للتأويل أو إثباته تناقضاً ؛ لأن من أثبت تأويلاً أو نفاه فقد فهم معنى من المعالى .

وبهذا التقسيم : يتبين تناقض كثير من الناس من نفاة الصفات ومثبتها في هذا الباب .

## القاعدة السادسة

إنه لقائل أن يقول : لا بد في هذا الباب من ضابط ، يعرف به ما يجوز على الله مما لا يجوز في النفي والإثبات ، إذ الاعتماد في هذا الباب على مجرد نفي التشبيه ، أو مطلق الإثبات من غير تشبيه ليس بسديد ، وذلك أنه ما من شيئين إلا بينهما قدر مشترك وقدر مميز .

فالتأني إن اعتمد فيما ينفيه على أن هذا تشبيه قيل له : إن أردت أنه مماثل له من كل وجه فهذا باطل ؛ وإن أردت أنه مشابه له من وجه دون وجه أو مشارك له في الاسم لزمك هذا في سائر ما تشبهه . وأنتم إنما أقمتم الدليل على إبطال التشبيه والتماثل الذي فسرتموه بأنه يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، ويجب له ما يجب له .

ومعلوم أن إثبات التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ؛ فإنه يعلم بضرورة العقل امتناعه ، ولا يلزم من نفي هذا نفي التشابه من بعض الوجوه ، كما في الأسماء والصفات المتواطئة . ولكن من الناس من يجعل التشبيه مفسراً بمعنى من المعاني ، ثم إن كل من أثبت ذلك المعنى قالوا : أنه مشبه ، ومنزاعهم يقول : ذلك المعنى ليس من التشبيه .

وقد يفرق بين لفظ التشبيه والتشليل .

وذلك أن المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات يقولون : كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه بمثل ، فمن قال إن الله علماً قديماً أو قدرة قديمة كان عندهم مشبهاً بمثلاً ، لأن القديم عند جمهورهم هو أخص وصف الإله ، فمن أثبت له صفة قديمة فقد أثبت لله مثلاً قديماً ، ويسمونه مثلاً بهذا الاعتبار ، ومثبته الصفات لا يوافقونهم على هذا بل يقولون : أخص وصفه ما لا يتصف به غيره مثل كونه رب العالمين ، وأنه بكل شيء عليم ، وأنه على كل شيء قدير ، وأنه إله واحد ، ونحو ذلك ؛ والصفة لا توصف بشيء من ذلك .

● ثم من هؤلاء الصفاتية من لا يقول في الصفات أنها قديمة بل يقول : الرب بصفاته قديم .

● ومنهم من يقول : هو قديم وصفته قديمة ، ولا يقول : هو وصفاته قديمان .  
● ومنهم من يقول : هو وصفاته قديمان ؛ ولكن يقول : ذلك لا يقتضى مشاركة الصفة له في شيء من خصائصه ، فإن القدم ليس من خصائص الذات المجردة ، بل من خصائص الذات الموصوفة بصفات ، وإلا فالذات المجردة لا وجود لها عندهم ، فضلا عن أن تختص بالقدم .

وقد يقولون : الذات متصفة بالقدم ، والصفات متصفة بالقدم ، وليست الصفات إلهاً ولا ربا ، كما أن النبي محدث وصفاته محدثة ، وليست صفاته نبياً .

فهؤلاء إذا أطلقوا على الصفاتية اسم التشبيه والتمثيل : كان هذا بحسب اعتقادهم الذى ينازعهم فيه أولئك ، ثم يقول لهم أولئك : هب أن هذا المعنى قد يسمى في اصطلاح بعض الناس تشبيها ، فهذا المعنى لم ينفه عقل ولا سمع ، وإنما الواجب نفى ما نفته الأدلة الشرعية والعقلية .  
والقرآن قد نفى مسمى المثل والكفاء والند ونحو ذلك .

ولكن يقولون الصفة في لغة العرب ليست مثل الموصوف ، ولا كفؤه ، ولا نده ، فلا يدخل في النص .

وأما العقل : فلم ينف مسمى التشبيه في اصطلاح المعتزلة .  
وكذلك أيضاً يقولون : إن الصفات لا تقوم إلا بجسم متحيز ، والأجسام متائلة ، فلو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلا لسائر الأجسام ، وهذا هو التشبيه .

وكذلك يقول هذا كثير من الصفاتية ، الذين يثبتون الصفات وينفون علوه على العرش ، وقيام الأفعال الاختيارية به ونحو ذلك ، ويقولون : الصفات قد تقوم بما ليس بجسم ، وأما العلو على العالم فلا يصح إلا إذا كان جسما ، فلو أثبتنا علوه للزم أن يكون جسما وحينئذ فالأجسام متائلة فيلزم التشبيه .

فلهذا تجد هؤلاء يسمون من أثبت العلو ونحوه مشبها ، ولا يسمون من أثبت السمع والبصر ، والكلام ونحوه مشبهاً ، كما يقول صاحب الإرشاد وأمثاله .

وكذلك يوافقهم على القول بتماثل الأجسام القاضى أبو يعلى وأمثاله من مثبتة الصفات والعلو ؛ لكن هؤلاء يجعلون العلو صفة خبرية ، كما هو أول قولى القاضى أبى يعلى ، فيكون الكلام فيه كالكلام فى الوجه .

وقد يقولون : إن ما يشبثونه لا ينافى الجسم ، كما يقولونه فى سائر الصفات . والعامل إذا تأمل وجد الأمر فيما نفوه كالأمر فيما أثبتوه لا فرق .

وأصل كلام هؤلاء كلهم على أن إثبات الصفات مستلزم للتجسيم ، والأجسام متماثلة .

والمتبثون يجيبون عن هذا تارة بمنع المقدمة الأولى ، وتارة بمنع المقدمة الثانية ، وتارة بمنع كل من المقدمتين ، وتارة بالاستفصال .

ولا ريب أن قولهم بتماثل الأجسام قول إبطال ، سواء فسروا الجسم بما يشار إليه أو بالقائم بنفسه أو بالموجود ، أو بالركب من الهيولى والصورة ونحو ذلك ، فأما إذا فسروه بالركب من الجواهر المفردة ، وعلى أنها متماثلة فهذا يبنى على صحة ذلك ؛ وعلى إثبات الجوهر الفرد ، وعلى أنه تماثل ، وجمهور العقلاء يخالفونهم فى ذلك .

والمقصود هنا أنهم يطلقون التشبيه على ما يعتقدونه تجسيمياً بناء على تماثل الأجسام ، والمتبثون ينازعونهم فى اعتقادهم ؛ كإطلاق الرافضة النصب على من تولى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ؛ بناء على أن من أحبهما فقد أبغض علياً رضى الله عنه ؛ ومن أبغضه فهو ناصبى .

وأهل السنة ينازعونهم فى المقدمة الأولى ؛ ولهذا يقول هؤلاء : إن الشيعين لا يشبهان من وجه ويختلفان من وجه ، وأكثر العقلاء على خلاف ذلك ، وقد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا الموضوع ، وبيننا فيه حجج من يقول بتماثل الأجسام ، وحجج من نفى ذلك ، وبيننا فساد قول من يقول بتماثلها .

وأيضاً فالاعتقاد بهذا الطريق على نفى التشبيه اعتقاد باطل ، وذلك أنه إذا ثبت تماثل الأجسام ، فهم لا ينفون ذلك إلا بالحجة التى ينفون بها الجسم .

وإذا ثبت أن هذا يستلزم الجسم ، وثبت امتناع الجسم كان هذا وحده كافياً فى نفى ذلك ، لا يحتاج نفى ذلك إلى نفى مسمى التشبيه ، لكن نفى التجسيم يكون مبنياً

على نفى هذا التشبيه بأن يقال : لو ثبت له كذا وكذا لكان جسماً ؛ ثم يقال :  
والأجسام متماثلة ، فيجب اشتراكها فيما يجب ويجوز ويمتنع ، وهذا ممتنع عليه .  
لكن حيثئذ يكون من سلك هذا المسلك معتمداً في نفى التشبيه على نفى التجسيم ؛  
فيكون أصل نفى نفى الجسم ، وهذا مسلك آخر ستكلم عليه إن شاء الله .  
وإنما المقصود هنا : أن مجرد الاعتقاد في نفى ما ينفي على مجرد نفى التشبيه لا يفيد إذ  
ما من شيئين إلا يشتبهان من وجه ويفترقان من وجه ، بخلاف الاعتقاد على نفى النقص  
والعيب ونحو ذلك ، مما هو سبحانه مقدس عنه ، فإن هذه طريقة صحيحة .  
وكذلك إذا أثبت له صفات الكمال ونفى مماثلة غيره له فيها ، فإن هذا نفى المماثلة  
فيما هو مستحق له ، وهذا حقيقة التوحيد : وهو أن لا يشركه شيء من الأشياء فيما  
هو من خصائصه . وكل صفة من صفات الكمال فهو متصف بها على وجه لا يماثله فيه  
أحد ؛ ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها ما وصف به نفسه من الصفات ، ونفى  
مماثلته بشيء من المخلوقات .

فإن قيل : إن الشيء إذا شابه غيره من وجه جاز عليه ما يجوز عليه من ذلك الوجه ،  
ووجب له ما وجب له ، وامتنع عليه ما امتنع عليه .  
قيل : هب أن الأمر كذلك ، ولكن إذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم إثبات ما  
يتمنع على الرب سبحانه ، ولا نفى ما يستحقه لم يكن ممتنعاً كما إذا قيل : أنه موجود  
حتى عليم سميع بصير ، وقد سمي بعض المخلوقات حياً سمياً عليماً بصيراً فإذا قيل : يلزم  
أنه يجوز عليه ما يجوز على ذلك من جهة كونه موجوداً حياً عليماً سمياً بصيراً . قيل :  
لازم هذا القدر المشترك ليس ممتنعاً على الرب تعالى ، فإن ذلك لا يقتضى حدوثاً ولا  
إمكاناً ، ولا نقصاً ولا شيئاً مما يناقض صفات الربوبية .

وذلك أن القدر المشترك هو مسمى الوجود أو الموجود ، أو الحياة أو الحي ، أو  
العلم أو العليم ، أو السمع أو البصر ، أو السميع أو البصير ، أو القدرة أو القدير ،  
والقدر المشترك مطلق كلي لا يختص بأحدهما دون الآخر ؛ فلم يقع بينهما اشتراك لا فيما  
يختص بالممكن المحدث ، ولا فيما يختص بالواجب القديم ، فإن ما يختص به أحدهما يتمنع  
اشتراكهما فيه .

فإذا كان القدر المشترك الذي اشتركا فيه صفة كمال ، كالوجود والحياة ، والعلم والقدرة ، ولم يكن في ذلك شيء مما يدل على خصائص المخلوقين ، كما لا يدل على شيء من خصائص الخالق ، لم يكن في إثبات هذا محذور أصلاً ؛ بل إثبات هذا من لوازم الوجود ، فكل موجودين لا بد بينهما من مثل هذا ، ومن نفي هذا لزمه تعطيل وجود كل موجود .

ولهذا لما اطلع الأئمة على أن هذا حقيقة قول الجهمية سموهم معطلة ، وكان جهنم ينكر أن يسمى الله شيئاً ، وربما قالت الجهمية هو شيء لا كالأشياء ، فإذا نفي القدر المشترك مطلقاً لزم التعطيل العام .

والمعاني التي يوصف بها الرب تعالى كالحياة ، والعلم والقدرة ، بل الوجود والثبوت ، والحقيقة ونحو ذلك : تجب لوازمها ، فإن ثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم ، وخصائص المخلوق التي يجب تنزيه الرب عنها ليست من لوازم ذلك أصلاً ، بل تلك من لوازم ما يختص بالمخلوق من وجود وحياة ، وعلم ونحو ذلك .

والله سبحانه منزّه عن خصائص المخلوقين وملزومات خصائصهم .

وهذا الموضوع من فهمه فهماً جيداً وتدبره زالت عنه عامة الشبهات ، وانكشف له غلط كثير من الأذكياء في هذا المقام ، وقد بسط هذا في مواضع كثيرة .

وبين فيها أن القدر المشترك الكلي لا يوجد في الخارج إلا معيناً مقيداً ، وأن معنى اشتراك الموجودات في أمر من الأمور هو تشابهها من ذلك الوجه ، وأن ذلك المعنى العام يطلق على هذا وهذا ؛ لأن الموجودات في الخارج لا يشارك أحدهما الآخر في شيء موجود فيه ، بل كل موجود متميز عن غيره بذاته وصفاته وأفعاله .

ولما كان الأمر كذلك كان كثير من الناس متناقضاً في هذا المقام ؛ فتارة يظن أن إثبات القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل ، فيجعل ذلك له حجة فيما يظن نفيه من الصفات حذراً من ملزومات التشبيه ، وتارة يتفطن أنه لا بد من إثبات هذا على تقدير فيجيب به فيما يثبت من الصفات لمن احتج به من النفاة .

ولكثرة الاشتباه في هذا المقام : وقعت الشبهة في أن وجود الرب هل هو عين ماهيته ، أو زائد على ماهيته ؟ وهل لفظ الوجود مقول بالاشتراك اللفظي أو التواطؤ أو



التشكيك ؟ كما وقع الاشتباه في إثبات الأحوال ونفيها ، وفيه أن المعدوم هل هو شيء أم لا ؟ وفي وجود الموجودات هل هو زائد على ماهيتها أم لا ؟

وقد كثر من أئمة النظار الاضطراب والتناقض في هذه المقامات ؛ فتارة يقول أحدهم القولين المتناقضين ، ويحكى عن الناس مقالات ما قالوها ؛ وتارة يبقى في الشك والتحير .

وقد بسطنا من الكلام في هذه المقامات ، وما وقع مع الاشتباه والغلط والخيرة فيها لأئمة الكلام والفلسفة ما لا تتسع له هذه الجمل المختصرة .

وبينا أن الصواب هو أن وجود كل شيء في الخارج هو ماهيته الموجودة في الخارج ؛ بخلاف الماهية التي في الذهن ، فإنها مغايرة للموجود في الخارج ؛ وأن لفظ الذات والشئ والماهية والحقيقة ونحو ذلك فهذه الألفاظ كلها متواطئة .

فإذا قيل : إنها مشككة لتفاضل معانيها ، فالمشكك نوع من المتواطئ العام ، الذي يراعى فيه دلالة اللفظ على القدر المشترك ، سواء كان المعنى متفاضلا في موارده أو متائلا .

وبينا أن المعدوم شيء أيضاً في العلم والذهن لا في الخارج ، فلا فرق بين الثبوت والوجود ، لكن الفرق ثابت بين الوجود العلمي والعيني ، مع أن ما في العلم ليس هو الحقيقة الموجودة ، ولكن هو العلم التابع للعالم القائم به .

وكذلك الأحوال التي تتأثل فيها الموجودات وتختلف : لها وجود في الأذهان ، وليس في الأعيان إلا الأعيان الموجودة وصفاتها القائمة بها المعينة ، فتشابه بذلك وتختلف به .

وأما هذه الجملة المختصرة فإن المقصود بها التبييه على جمل مختصرة جامعة ، من فهمها علم قدر نفعها ، وانفتح له باب الهدى ، وإمكان إغلاق باب الضلال ؛ ثم بسطها وشرحها له مقام آخر ؛ إذ لكل مقام مقال .

والمقصود : هنا أن الاعتماد على مثل هذه الحجة فيما ينفي عن الرب وينزه عنه — كما يفعله كثير من المصنفين — خطأ لمن تدبر ذلك ، وهذا من طرق النفي الباطلة .

## ما يسلكه نفاة الصفات

وأفسد من ذلك : ما يسلكه نفاة الصفات ، أو بعضها إذا أرادوا أن يتزهوه عما يجب تنزيهه عنه ، مما هو من أعظم الكفر ، مثل أن يريدوا تنزيهه عن الحزن والبكاء ونحو ذلك ، ويريدون الرد على اليهود : الذين يقولون أنه بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملاحكة ، والذين يقولون بإلهية بعض البشر وأنه الله .

فإن كثيراً من الناس يحتج على هؤلاء بنفى التجسيم والتحيز ونحو ذلك ، ويقولون لو اتصف بهذه النقائص والآفات لكان جسماً أو متحيزاً وذلك ممتنع ، وبسلوكهم مثل هذه الطريق استظهر عليهم هؤلاء الملاحدة ، نفاة الأسماء والصفات ، فإن هذه الطريقة لا يحصل بها المقصود لوجوه :

(أحدها) أن وصف الله تعالى بهذه النقائص والآفات أظهر فساداً في العقل والدين من نفي التحيز والتجسيم ؛ فإن هذا فيه من الاشتباه والنزاع والخفاء ما ليس في ذلك ، وكفر صاحب ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام ، والدليل معرف للمدلول ومبين له ؛ فلا يجوز أن يستدل على الأظهر الأبين بالأخفى ، كما لا يفعل مثل ذلك في الحدود .

(الوجه الثاني) أن هؤلاء الذين يصفونه بهذه الصفات : يمكنهم أن يقولوا نحن لا نقول بالتجسيم والتحيز ، كما يقوله من يثبت الصفات وينفى التجسيم ، فيصير نزاعهم مثل نزاع مثبتة الكلام وصفات الكمال ، فيصير كلام من وصف الله بصفات الكمال وصفات النقص واحداً ، ويبقى رد النفاة على الطائفتين بطريق واحد ، وهذا في غاية الفساد .

(الثالث) أن هؤلاء ينفون صفات الكمال بمثل هذه الطريقة ، واتصافه بصفات الكمال واجب ثابت بالعقل والسمع ، فيكون ذلك دليلاً على فساد هذه الطريقة .

(الرابع) أن سالكي هذه الطريقة متناقضون ، فكل من أثبت شيئاً منهم ألزمه الآخر بما يوافق فيه من الإثبات ، كما أن كل من نفى شيئاً منهم ألزمه الآخر بما يوافق فيه من النفي .

فمثبتة الصفات — كالحياة والعلم ، والقدرة والكلام ، والسمع والبصر — إذا قالت لهم النفاة كالمعتزلة : هذا تجسيم ؛ لأن هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بالجسم ، أو لأننا لا نعرف موصوفاً بالصفات إلا جسماً .

قالت لهم المثبتة : وأنتم قد قلتم أنه حي عليم قدير ، وقلتم : ليس بجسم ؛ وأنتم لا تعلمون موجوداً حياً عالماً قادراً إلا جسماً ، فقد أثبتموه على خلاف ما علمتم ، فكذلك نحن ، وقالوا لهم : أنتم أثبتتم حياً عالماً قادراً ؛ بلا حياة ولا علم ولا قدرة ، وهذا تناقض يعلم بضرورة العقل .

ثم هؤلاء المثبتون إذا قالوا لمن أثبت أنه يرضى ويفضض ، ويحب ويفغض ، أو من وصفه بالاستواء والنزول ، والإتيان والجمي ، أو بالوجه واليد ونحو ذلك إذا قالوا : هذا يقتضى التجسيم ؛ لأننا لا نعرف ما يوصف بذلك إلا ما هو جسم .

قالت لهم المثبتة : فأنتم قد وصفتموه بالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والكلام ، وهذا هكذا ؛ فإذا كان هذا لا يوصف به إلا الجسم فالآخر كذلك ، وإن أمكن أن يوصف بأحدهما ما ليس بجسم فالآخر كذلك ؛ فالتفريق بينهما تفريق بين المتماثلين .

ولهذا لما كان الرد على من وصف الله تعالى بالنقائص بهذا الطريق طريقاً فاسداً لم يسلكه أحد من السلف والأئمة ، فلم ينطق أحد منهم في حق الله بالجسم لا نفياً ولا إثباتاً ، ولا بالجواهر والتحيز ونحو ذلك ، لأنها عبارات مجملة لا تحقق حقاً ولا تبطل باطلاً .

ولهذا لم يذكر الله في كتابه فيما أنكره على اليهود وغيرهم من الكفار ما هو من هذا النوع ؛ بل هذا هو من الكلام المبتدع ، الذى أنكره السلف والأئمة .

## من أثبت بعض الصفات أثبت الباقى

وأما فى طرق الإثبات : فمعلوم أيضاً أن المثبت لا يكفى فى إثباته مجرد نفى التشبيه ، إذ لو كفى فى إثباته مجرد نفى التشبيه لجاز أن يوصف سبحانه من الأعضاء والأفعال ، بما لا يكاد يحصى مما هو ممتنع عليه — مع نفى التشبيه ، وأن يوصف بالنقائص التى لا تجوز عليه مع نفى التشبيه .

كما لو وصفه مفتر عليه بالبكاء والحزن ، والجوع والعطش ، مع نفى التشبيه . وكما لو قال المفترى : يأكل لا كأكل العباد ، ويشرب لا كشربهم ، ويكى ويحزن لا كبكائهم ولا حزنهم ؛ كما يقال يضحك لا كضحكهم ، ويفرح لا كفرحهم ، ويتكلم لا ككلامهم . ولجاز أن يقال : له أعضاء كثيرة لا كأعضائهم ، كما قيل : له وجه لا كوجههم ، ويدان لا كأيديهم . حتى يذكر المعدة والأمعاء والذكر ، وغير ذلك مما يتعالى الله عز وجل عنه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فإنه يقال لمن نفى ذلك مع إثبات الصفات الخيرية وغيرها من الصفات : ما الفرق بين هذا وما أثبتته إذا نفيت التشبيه وجعلت مجرد نفى التشبيه كافياً فى الإثبات ، فلا بد من إثبات فرق فى نفس الأمر .

فإن قال : العمدة فى الفرق هو السمع فما جاء به السمع أثبتته دون ما لم يجيء به السمع .

قيل له أولاً : السمع هو خبر الصادق عما هو الأمر عليه فى نفسه ، فما أخبر به الصادق فهو حق من نفى أو إثبات ؛ والخبر دليل على المخبر عنه ، والدليل لا ينعكس ؛ فلا يلزم من عدم المدلول عليه ، فما لم يرد به السمع يجوز أن يكون ثابتاً فى نفس الأمر ، وإن لم يرد به السمع ؛ إذا لم يكن نفاه .

ومعلوم أن السمع لم ينف هذه الأمور بأسمائها الخاصة ، فلا بد من ذكر ما ينفىها من السمع ، وإلا فلا يجوز حيثئذ نفيها كما لا يجوز إثباتها .

وأيضاً : فلا بد فى نفس الأمر من فرق بين ما يثبت له وينفى ، فإن الأمور المتأثلة فى

الجواز ، والوجوب ، والامتناع : يمتنع اختصاص بعضها دون بعض ، في الجواز والوجوب والامتناع ، فلا بد من اختصاص المنفى عن المثبت بما يخصه بالنفى ، ولا بد من اختصاص الثابت عن المنفى بما يخصه بالثبوت .

وقد يعبر عن ذلك بأن يقال : لا بد من أمر يوجب نفى ما يجب نفيه عن الله ، كما أنه لا بد من أمر يثبت له ما هو ثابت ، وإن كان السمع كافياً كان مخبراً عما هو الأمر عليه في نفسه ، فما الفرق في نفس الامر بين هذا وهذا ؟

فيقال : كلما نفى صفات الكمال الثابتة لله فهو منزه عنه ، فإن ثبوت أحد الضدين يستلزم نفى الآخر ، فإذا علم أنه موجود واجب الوجود بنفسه ، وأنه قديم واجب القدم علم امتناع العدم والحدوث عليه ، وعلم أنه غني عما سواه .

فالفتقر إلى ما سواه في بعض ما يحتاج إليه لنفسه : ليس هو موجوداً بنفسه ، بل بنفسه وبذلك الآخر الذي أعطاه ما يحتاج إليه نفسه فلا يوجد إلا به .

وهو سبحانه غني عن كل ما سواه فكل ما نافي عنه فهو منزه عنه ؛ وهو سبحانه قدير قوي فكل ما نافي قدرته وقوته فهو منزه عنه ، وهو سبحانه حي قيوم ، فكل ما نافي حياته وقيوميته فهو منزه عنه .

وبالجملة فالسمع قد أثبت له من الأسماء الحسنى وصفات الكمال ما قد ورد ، فكل ما ضاد ذلك فالسمع ينفيه كما ينفي عنه المثل والكفو فإن إثبات الشيء نفى لخصه ، ولما يستلزم ضده ، والعقل يعرف نفى ذلك كما يعرف إثبات ضده ، فإثبات أحد الضدين نفى للآخر ولما يستلزمه .

فطرق العلم بنفى ما ينزه عنه الرب متسعة ، لا يحتاج فيها إلى الاقتصار على مجرد نفى التشبيه والتجسيم ، كما فعله أهل القصور والتقصير : الذين تناقضوا في ذلك ، وفرقوا بين المتماثلين ، حتى أن كل من أثبت شيئاً احتج عليه من نفاه بأنه يستلزم التشبيه .

وكذلك احتج القرامطة على نفى جميع الأمور ، حتى نفوا النفى ، فقالوا : لا يقال لا موجود ولا ليس بموجود ، ولا حي ولا ليس بحي ؛ لأن ذلك تشبيه بالموجود أو المعدوم فلزم نفى النقيضين : وهو أظهر الأشياء امتناعاً .

ثم إن هؤلاء يلزمهم من تشبيهه بالمعدومات ، والمنتعات ، والجمادات : أعظم مما فرأوا منه من التشبيه بالأحياء الكاملين ، فطرق تنزيهه وتقديسه عما هو منزه عنه متسعة لا تحتاج إلى هذا .

وقد تقدم أن ما ينفى عنه — سبحانه — النفي المتضمن للإثبات ؛ إذ مجرد النفي لا مدح فيه ولا كمال ، فإن المعدوم يوصف بالنفي ، والمعدوم لا يشبه الموجودات ، وليس هذا مدحاً له ، لأن مشابهة الناقص في صفات النقص نقص مطلقاً كما أن مماثلة المخلوق في شيء من الصفات : تمثيل وتشبيه ينزه عنه الرب تبارك وتعالى .

والنقص ضد الكمال ؛ وذلك مثل أنه قد علم أنه حي والموت ضد ذلك فهو منزه عنه ؛ وكذلك النوم والسنة ضد كمال الحياة ، فإن النوم أخو الموت ، وكذلك اللغوب نقص في القدرة والقوة ، والأكل والشرب ونحو ذلك من الأمور فيه افتقار إلى موجود غيره ، كما أن الاستعانة بالغير والاعتضاد به ونحو ذلك تتضمن الافتقار إليه والاحتياج إليه .

وكل من يحتاج إلى من يحمله أو يعينه على قيام ذاته وأفعاله فهو مفتقر إليه ليس مستغنياً عنه بنفسه فكيف من يأكل ويشرب ، والآكل والشارب أجوف ، والمصمت الصمد أكمل من الآكل والشارب .

ولهذا كانت الملائكة صمداً لا تأكل ولا تشرب ، وقد تقدم أن كل كمال ثبت لمخلوق فالخالق أولى به ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بتنزيهه عن ذلك ، والسمع قد نفى ذلك في غير موضع ، كقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ والصمد الذي لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب ، وهذه السورة هي نسب الرحمن ، أو هي الأصل في هذا الباب . وقال في حق المسيح وأمه : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾<sup>(١٤٩)</sup> فجعل ذلك دليلاً على نفي الألوهية ، فدل ذلك على تنزيهه عن ذلك بطريق الأولى والأحرى .

والكبد والطحال ونحو ذلك : هي أعضاء الأكل والشرب ، فالغنى المنزه عن ذلك : منزه عن آلات ذلك ، بخلاف اليد فإنها للعمل والفعل ، وهو سبحانه موصوف بالعمل

(١٤٩) سورة المائدة... (الآية ٧٥) .

والفعل ؛ وذلك من صفات الكمال ؛ فمن يقدر أن يفعل أكمل ممن لا يقدر على الفعل .

وهو سبحانه منزه عن الصاحبة والولد ، وعن آلات ذلك وأسبابه . وكذلك البكاء والحزن ؛ هو مستلزم الضعف والعجز ، الذى ينزه عنه سبحانه ؛ بخلاف الفرح والغضب ؛ فإنه من صفات الكمال ، فكما يوصف بالقدرة دون العجز ، وبالعلم دون الجهل ، وبالحياة دون الموت ، وبالسمع دون الصمم ، وبالبصر دون العمى ، وبالكلام دون البكم ؛ فكذلك يوصف بالفرح دون الحزن ، وبالضحك دون البكاء ونحو ذلك .

وأيضاً فقد ثبت بالعقل ما أثبتته السمع ، من أنه سبحانه لا كفؤ له ولا سمي له وليس كمثلته شيء ، فلا يجوز أن تكون حقيقته كحقيقة شيء من المخلوقات ، ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقات ، فيعلم قطعاً أنه ليس من جنس المخلوقات ، لا الملائكة ولا السموات ، ولا الكواكب ولا الهواء ، ولا الماء ولا الأرض ، ولا الآدميين ولا أبدانهم ولا أنفسهم ، ولا غير ذلك ، بل يعلم أن حقيقته عن مماثلات شيء من الموجودات أبعد من سائر الحقائق ، وأن مماثلته لشيء منها أبعد من مماثلة حقيقة شيء من المخلوقات لحقيقة مخلوق آخر .

فإن الحقيقتين إذا تماثلتا : جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى ، ووجب لها ما وجب لها . فيلزم أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق ، من العدم والحاجة ، وأن يثبت لهذا ما يثبت لذلك من الوجوب والفناء ، فيكون الشيء الواحد واجباً بنفسه غير واجب بنفسه ، موجوداً معدوماً ، وذلك جمع بين النقيضين .

وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة الذين يقولون : بصر كبصرى ، أو يد كيدى ونحو ذلك ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

وليس المقصود هنا استيفاء ما يثبت له ولا ما ينزه عنه ، واستيفاء طرق ذلك ؛ لأن هذا مبسوط في غير هذا الموضع .

وإنما المقصود هنا التنبيه على جوامع ذلك وطرقه .

وما سكت عنه السمع نفيًا وإثباتًا ، ولم يكن في العقل ما يشبهه ولا ينفيه سكتنا عنه ، فلا ثبته ولا نفيه .

فثبت ما علمنا ثبوته ، وتنفى ما علمنا نفيه ، ونسكت عما لا نعلم نفيه ولا إثباته والله أعلم .



## القاعدة السابعة

أن يقال : إن كثيراً مما دل عليه «السمع» يعلم «بالعقل» أيضاً ، والقرآن يبين ما يستدل به العقل ، ويرشد إليه وينبه عليه ؛ كما ذكر الله ذلك في غير موضع .  
فإنه سبحانه وتعالى : بين من الآيات الدالة عليه ، وعلى وحدانيته ، وقدرته ، وعلمه ، وغير ذلك : ما أرشد العباد إليه ودلهم عليه ؛ كما بين أيضاً ما دل على نبوة أنبيائه ؛ وما دل على المعاد وإمكانه .

فهذه المطالب هي شرعية من جهتين :

من جهة أن الشارع أخبر بها .

ومن جهة أنه بين الأدلة العقلية التي يستدل بها عليها . والأمثال المضروبة في القرآن ، هي «أقيسة عقلية» وقد بسط في غير هذا الموضع ، وهي أيضاً عقلية من جهة أنها تعلم بالعقل أيضاً .

وكثير من أهل الكلام يسمى هذه «الأصول العقلية» لاعتقاده أنها لا تعلم إلا بالعقل فقط . فإن السمع هو مجرد إخبار الصادق وخبر الصادق ، الذي هو النبي لا يعلم صدقه إلا بعد العلم بهذه الأصول بالعقل .

ثم إنهم قد يتنازعون في الأصول التي تتوقف إثبات النبوة عليها .

فطائفة تزعم : أن تحسين العقل وتقييحه داخل في هذه الأصول ، وأنه لا يمكن إثبات النبوة بدون ذلك ، ويجعلون التكذيب بالقدر مما ينفيه العقل .

و طائفة تزعم أن حدوث العالم من هذه الأصول ، وأن العلم بالصانع لا يمكن إلا بإثبات حدوثه ، وإثبات حدوثه لا يمكن إلا بحدوث الأجسام ، وحدثها يعلم إما بحدوث الصفات ، وإما بحدوث الأفعال القائمة بها ، فيجعلون نفى أفعال الرب ، ونفى صفاته من الأصول التي لا يمكن إثبات النبوة إلا بها .

ثم هؤلاء لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة على نقيض قولهم ، لظنهم أن العقل عارض السمع — وهو أصله — فيجب تقديمه عليه . والسمع : إما أن يؤول ، وإما أن يفوض ، وهم أيضاً عند التحقيق لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة على وفق قولهم لما تقدم .

وهؤلاء يضلون من وجوه :

منها : ظنهم أن السمع بطريق الخبر تارة ، وليس الأمر كذلك ، بل القرآن بين من الدلائل العقلية — التي تعلم بها المطالب الدينية — ما لا يوجد مثله في كلام أئمة النظر ، فتكون هذه المطالب : شرعية عقلية .

ومنها : ظنهم أن الرسول لا يعلم صدقه إلا بالطريق المعينة التي سلكوها ، وهم مخطئون قطعاً في انحصار طريق تصديقه فيما ذكروه ، فإن طرق العلم بصدق الرسول كثيرة ، كما قد بسط في غير هذا الموضوع .

و منها : ظنهم أن تلك الطريق التي سلكوها صحيحة ، وقد تكون باطلة .  
ومنها : ظنهم أن معارضوا به السمع معلوم بالعقل ، ويكونون غالطين في ذلك ؛ فإنه إذا وزن بالميزان الصحيح وجد ما يعارض الكتاب والسنة ، من الجهولات ؛ لا من المعقولات . وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضوع .

والمقصود هنا : أن من صفات الله تعالى ما قد يعلم بالعقل ، كما يعلم أنه عالم ، وأنه قادر ، وأنه حي ؛ كما أرشد إلى ذلك قوله : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ (١٥٠) .  
وقد اتفق النظار من مثبتة الصفات : على أنه يعلم بالعقل (عند المحققين) أنه حي ؛ عليم ؛ قدير ؛ وكذلك السمع ؛ والبصر ، والكلام : يثبت بالعقل عند المحققين منهم ، بل وكذلك الحب ، والرضا ، والغضب . يمكن إثباته بالعقل . وكذلك علوه على المخلوقات ومباينته لها مما يعلم بالعقل ، كما أثبتته بذلك الأئمة : مثل أحمد بن حنبل ، وغيره .

ومثل : عبد العال المكي ، وعبد الله بن سعيد بن كلاب (١٥١) ؛ بل وكذلك إمكان الرؤية : يثبت بالعقل ، لكن منهم من أثبتها بأن كل موجود تصح رؤيته .  
ومنهم من أثبتها بأن كل قائم بنفسه يمكن رؤيته . وهذه الطريق أصح من تلك .  
وقد يمكن إثبات الرؤية ، بغير هذين الطريقين ، بتقسيم دائر بين النفي والإثبات ، كما

(١٥٠) سورة الملك (الآية ١٤) .

(١٥١) جاء في مقالات الإسلاميين (٢٤٩/١) تحت عنوان شرح قول عبد الله بن كلاب في الأسماء والصفات قال عبد الله بن كلاب : « لم يزل الله عالماً حياً سمياً بصيراً عزيزاً عظيماً جليلاً متكبراً جباراً كريماً جواداً واحداً صمداً فرداً باقياً أولاً رباً مريداً كارهاً راضياً عن علم أنه يموت مؤمناً وإن كان أكثر عمره كافراً ... » وانظر بقية آرائه .

يقال : إن الرؤية لا تتوقف إلا على أمور وجودية ، فإن ما لا يتوقف إلا على أمور وجودية يكون الموجود الواجب القديم : أحق به من الممكن المحدث .  
والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضوع .

والمقصود هنا : أن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من نظار السنة في هذا الباب : أنه لو لم يكن موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين : للزم اتصافه بالأخرى ؛ فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت ؛ ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز ؛ ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصمم والخرس والبيكم .  
وطرد ذلك أنه لو لم يوصف بأنه مبين للعالم لكان داخلاً فيه . فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرى ، وتلك صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات ، فتنزيه الخالق عنها أولى .

وهذه الطريقة غير قولنا أن هذه صفات كمال يتصف بها المخلوق ؛ فالخالق أولى . فإن طريق إثبات صفات الكمال بأنفسها مغاير لطريق إثباتها بنفسى ما يناقضها .  
وقد اعترض طائفة من النفاة على هذه الطريقة باعتراض مشهور ؛ لبسوا به على الناس ؛ حتى صار كثير من أهل الإثبات يظن صحته ويضعف الإثبات به ، مثل ما فعل من فعل ذلك من النظار ، حتى الآمادى أمسى<sup>(١٥٢)</sup> مع أنه أصل قول القرامطة الباطنية ، وأمثالهم من الجهمية . فقالوا : القول بأنه لو لم يكن متصفاً بهذه الصفات ؛ كالسمع والبصر والكلام ، مع كونه حياً : لكان متصفاً بما يقابلها .

فالتحقيق فيه متوقف على بيان حقيقة (المتقابلين) . وبيان أقسامهما . فنقول أما المتقابلان فلا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة ، وهو إما ألا يصح اجتماعهما في الصدق ولا في الكذب ؛ أو يصح ذلك في أحد الطرفين ؛ ولأنهما متقابلان بالسلب والإيجاب ، وهو تقابل التناقض ؛ والتناقض هو اختلاف القضيتين بالسلب والإيجاب على وجه لا يجتمعان في الصدق ولا في الكذب لذاتيهما ؛ كقولنا زيد حيوان ، زيد ليس بحيوان .

ومن خاصة استحالة اجتماع طرفيه في الصدق والكذب : أنه لا واسطة بين الطرفين ، ولا استحالة لأحد الطرفين من جهة واحدة ، ولا يصح اجتماعهما في الصدق

(١٥٢) عبارة غامضة لأعرف لها توجيهاً

ولا في الكذب ؛ إذ كون الموجود واجباً بنفسه وممكناً بنفسه : لا يجتمعان ولا يرتفعان .

فإذا جعلتم هذا التقسيم : وهما « النقيضان ما لا يجتمعان ولا يرتفعان » فهذان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، وليس هما السلب والإيجاب ، فلا يصح حصر النقيضين — اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان — في السلب والإيجاب .

وحيث قد ثبت وصفان — شيان — لا يجتمعان ولا يرتفعان ؛ وهو خارج عن الأقسام الأربعة على هذا .

فمن جعل الموت معنى وجودياً : فقد يقول إن كون الشيء لا يخلو من الحياة والموت هو من هذا الباب ؛ وكذلك العلم والجهل ، والصمم والبكم ونحو ذلك .

الوجه الثاني : أن يقال : هذا التقسيم يتداخل ؛ فإن العدم والملكية : يدخل في السلب والإيجاب وغايته أنه نوع منه . والمتضايقان يتدخلان في المتضادين ، إنما هما نوع منه . فإن قال : أعني بالسلب والإيجاب : فلا يدخل في العدم والملكية — وهو أن يسلب عن الشيء ما ليس يقابل له — ولهذا جعل من خواصه أنه لا استحالة لأحد طرفيه . إلى آخره .

قيل له : عن هذا جوابان :

أحدهما : أن غاية هذا أن السلب ينقسم إلى نوعين ، أحدهما : سلب ما يمكن اتصاف الشيء به .

والثاني : سلب ما لا يمكن اتصافه به .

فيقال : الأول إثبات ما يمكن اتصافه ولا يجب .

والثاني : إثبات ما يجب اتصافه به ؛ فيكون المراد به سلب ممتنع . وإثبات الواجب ؛ كقولنا زيد حيوان فإن هذا إثبات واجب ، وزيد ليس بحجر ، فإن هذا سلب ممتنع . وعلى هذا التقدير فالممكنات التي تقبل الوجود والعدم — كقولنا المثلث إما موجود وإما معدوم — يكون من قسم العدم والملكية ، وليس كذلك . فإن ذلك القسم يخلو فيه الموصوف الواحد عن المتقابلين جميعاً ، ولا يخلو شيء من الممكنات عن الوجود والعدم .

وأيضاً فإنه على هذا التقدير — فصفات الرب كلها واجبة له — فإذا قيل إما أن يكون حياً أو عليماً ، أو سميعاً أو بصيراً ، أو متكلماً ؛ أو لا يكون : كان مثل قولنا : إما أن يكون موجوداً ؛ وإما أن لا يكون . وهذا متقابل تقابل السلب والإيجاب ، فيكون الآخر مثله . وبهذا يحصل المقصود .

فإن قيل : هذا لا يصح حتى يعلم إمكان قبوله لهذه الصفات : قيل له هذا إنما اشتركا فيما أمكن أن يثبت له ويؤول كالحَيوان ؛ فأما الرب تعالى : فإنه بتقدير ثبوتها له فهي واجبة ضرورة ؛ فإنه لا يمكن اتصافه بها وبعدمها ، باتفاق العقلاء . فإن ذلك يوجب أن يكون تارة حياً ، وتارة ميتاً ، وتارة أصم ، وتارة سميعاً ، وهذا يوجب اتصافه بالنقص ؛ وذلك منتف قطعاً ؛ بخلاف من نفاها وقال : إن نفيها ليس بنقص لظنه أنه لا يقبل الاتصاف بها .

فإن من قال هذا لا يمكنه أن يقول : أنه مع إمكان الاتصاف بها لا يكون نفيها نقصاً ، فإن فساد هذا معلوم بالضرورة .

وقيل له أيضاً : أنت في تقابل السلب والإيجاب ، إن اشترطت العلم بإمكان الطرفين : لم يصح أن تقول واجب الوجود ؛ إما موجود وإما معدوم، والممتنع الوجود اما موجود وإما معدوم ؛ لأن أحد الطرفين هنا معلوم الوجود . والآخر معلوم الامتناع .

وإن اشترطت العلم بإمكان أحدهما صح أن تقول إما أن يكون حياً ، وإما ألا يكون ؛ وإما أن يكون سميعاً بصيراً وإما أن لا يكون ؛ لأن النفي إن كان ممكناً صح التقسيم ، وإن كان ممتنعاً ؛ كان الإثبات واجباً ، وحصل المقصود .

فإن قيل : هذا يفيد أن هذا التأويل يقابل السلب والإيجاب ، ونحن نسلم ذلك كما ذكر في الاعتراض ؛ لكن غايته : أنه إما سميع وإما ليس بسميع ، وإما بصير وإما ليس بصير ؛ والمنازع يختار النفي .

فيقال له : على هذا التقدير : فالمثبت واجب ؛ والمسلوب ممتنع . فإما أن تكون هذه الصفات واجبة له ، وإما أن تكون ممتنعة عليه ، والقول بالامتناع لا وجه له ؛ إذ لا دليل عليه بوجه .

بل قد يقال : نحن نعلم بالاضطرار بطلان الامتناع ؛ فإنه لا يمكن أن يستدل على امتناع إلا بما يستدل به على إبطال أصل الصفات ؛ وقد علم فساد ذلك .  
وحينئذ فيجب القول بوجوب هذه الصفات له .

واعلم أن هذا يمكن أن يجعل طريقة مستقلة في إثبات صفات الكمال له ، فإنها إما واجبة له وإما ممتنعة عنه ، والثاني باطل ، فتعين الأول ؛ لأن كونه قابلاً لها خالياً عنها يقتضى أن يكون ممكناً ، وذلك ممتنع في حقه ، وهذه طريقة معروفة لمن سلكها من النظائر .

الجواب الثاني أن يقال : فعلى هذا إذا قلنا زيد إما عاقل وإما غير عاقل ؛ وإما عالم وإما ليس بعالم ، وإما حي وإما غير حي ، وإما ناطق وإما غير ناطق . وأمثال ذلك بما فيه سلب الصفة عن محل قابل لها ، لم يكن هنا داخلاً في قسم تقابل السلب والإيجاب .  
ومعلوم أن هذا خلاف المعلوم بالضرورة ، وخلاف اتفاق العقلاء ، وخلاف ما ذكروه في المنطق وغيره . ومعلوم أن مثل هذه القضايا تتناقض بالسلب والإيجاب ، على وجه يلزم من صدق إحداهما كذب الأخرى ، فلا يجتمعان في الصدق والكذب ، فهذه شروط التناقض موجودة فيها .

وغاية فرقتهم أن يقولوا إذا قلنا : هو إما بصير ، وإما ليس ببصير : كان إيجاباً وسلباً ، وإذا قلنا : إما بصير ؛ وإما أعمى : كان ملكة وعدماً ، وهذه منازعة لفظية ، وإلا فالمعنى في الموضعين سواء .

فعلم أن ذلك نوع من تقابل السلب والإيجاب ، وهذا يبطل قولهم في حد ذلك التقابل : أنه لا استحالة لأحد الطرفين إلى الآخر ، فإن الإستحالة هنا ممكنة كما مكانها إذا عبر بلفظ العمى .

الوجه الثالث أن يقال : التقسيم الحاصر أن يقال : المتقابلان إما أن يختلفا بالسلب والإيجاب ، وإما أن لا يختلفا بذلك ، بل يكونان إيجابيين أو سلبيين .  
فالأول هو النقيضان .

والثاني إما أن يمكن خلط المحل عنهما ، وإما أن لا يمكن . والأول : هما الضدان كالسواد والبياض ، والثاني : هما في معنى النقيضين وإن كانا ثبوتيين ، كالوجوب

والإمكان ، والحدوث والقدم ، والقيام بالنفس والقيام بالغير ، والمباينة والمجانبة ، ونحو ذلك .

ومعلوم أن الحياة والموت ، والصمم والبكم ، والسمع : ليس مما إذا خلا الموصوف عنهما وصف بوصف ثالث بينهما ، كالحمرة بين السواد والبياض ، فعلم أن الموصوف لا يخلو عن أحدهما ، فإذا انتفى تعين الآخر .

الوجه الرابع : المحل الذى لا يقبل الاتصاف بالحياة والعلم ، والقدرة والكلام ونحوها : أنقص من المحل الذى يقبل ذلك ويخلو عنها ، ولهذا كان الحجر ونحوه أنقص من الحى الأعمى .

وحينئذ فإذا كان البارئ منزهاً عن نفى هذه الصفات ؛ مع قبوله لها فتزويه عن امتناع قبوله لها أولى وأحرى ، إذ بتقدير قبوله لها يمتنع منع المتقابلين واتصافه بالنقائص يمتنع ، فيجب اتصافه بصفات الكمال ، وبتقدير عدم قبوله لا يمكن اتصافه : لا بصفات الكمال ولا بصفات النقص ، وهذا أشد امتناعاً فثبت أن اتصافه بذلك ممكن ، وأنه واجب له وهو المطلوب . وهذا فى غاية الحسن .

الوجه الخامس : أن يقال : أتم جعلتم تقابل العدم والملكة فيما يمكن اتصافه بثبوت ، فإذا عنيتم بالإمكان الإمكان الخارجى — هو أن يعلم ثبوت ذلك فى الخارج — كان هذا باطلاً لوجهين :

أحدهما : أنه يلزمكم أن تكون الجمادات لا توصف بأنها لا حية ولا ميتة ولا ناطقة ولا صامتة ، وهو قولكم — لكن هذا اصطلاح محض — وألا تصفوا هذه الجمادات بالموت والصمت . وقد جاء القرآن بذلك . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۖ أَمْوَآتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٥٣) . فهذا فى « الأصنام » وهى من الجمادات وقد وصفت بالموت ، والعرب تقسم الارض إلى الحيوان والموتان .

قال أهل اللغة : الموتان بالتحريك خلاف الحيوان ، يقال : اشتر الموتان ولا تشتري

(١٥٣) سورة النحل الآية (٢٠ ، ٢١) .

الحيوان ، أى اشترى الأرض والدور ؛ ولا تشتت الرقيق والدواب ؛ وقالوا أيضاً : الموات ما لا روح فيه .

فإن قيل : فهذا إنما يسمى مواتاً باعتبار قبوله « للحياة » التى هى إحياء الأرض : قيل وهذا يقتضى أن الحياة أعم من حياة الحيوان ، وأن الجماد يوصف بالحياة ، إذا كان قابلاً للزرع والعمارة ؛ والخرس ضد النطق ، والعرب تقول : « لبن أخرس » أى خائر لا صوت له فى الإناء ، « وسحابة خرساء » ليس فيها رعد ولا برق ، و « علم أخرس » إذا لم يسمع له فى الجبل صوت صدى . ويقال : « كتيبة خرساء » قال أبو عبيدة : هى التى صمتت من كثرة الدروع ليس لها قعاقع .

وأبلغ من ذلك الصمت والسكوت ؛ فإنه يوصف به القادر على النطق ، إذا تركه ؛ بخلاف الخرس فإنه عاجز عن النطق . ومع هذا فالعرب تقول : « ما له صامت ولا ناطق » فالصامت الذهب والفضة ، والناطق الإبل والغنم ، فالصامت من اللبن الخائر ، والصموت الدرع التى صمتت إذا لم يسمع لها صوت .

ويقولون : دابة عجماء وخرساء لما لا تنطق ، ولا يمكن منها النطق فى العادة ومنه قول النبى ﷺ : « العجماء جبار » وكذلك فى « العمياء » تقول العرب : عمى الموج يعمى عمأ إذا رمى القذف والزبد ؛ و « الأعميان » السيل ، والجمل الهائج . وعمى عليه الأمر إذا التبس ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ .

وهذه الأمثلة قد يقال فى بعضها إنه عدم ما يقبل المحل الاتصاف به كالصوت ؛ ولكن فيها ما لا يقبل كموت الأصنام .

الثانى : أن الجمادات يمكن اتصافها بذلك ، فإن الله سبحانه قادر أن يخلق فى الجمادات حياة ، كما جعل عصى موسى حية تبتلع الحبال والعصى — وإذا كان فى إمكان العادات : كان ذلك مما قد علم بالتواتر — وأنتم أيضاً قائلون به فى مواضع كثيرة ، وإذا كان الجمادات يمكن اتصافها بالحياة وتوابع الحياة ثبت أن جميع الموجودات يمكن اتصافها بذلك ، فيكون الخالق أولى بهذا الإمكان . وإن عنيتم الإمكان الذهنى — وهو عدم العلم بالامتناع — فهذا حاصل فى حق الله ، فإنه لا يعلم امتناع اتصافه بالسمع والبصر والكلام .



الوجه السادس : أن يقال : هب أنه لا بد من العلم بالإمكان الخارجى ، فإمكان الوصف للشيء يعلم تارة بوجوده له ، أو بوجوده لنظيره ، أو بوجوده لما هو الشيء أولى بذلك منه .

ومعلوم أن الحياة والعلم ، والقدرة والسمع ، والبصر والكلام : ثابت للموجودات المخلوقة ، ويمكن لها . فإمكانها للخالق تعالى أولى وأحرى ؛ فإنها صفات كمال . وهو قابل للاتصاف بالصفات ؛ وإذا كانت ممكنة في حقه فلو لم يتصف بها لاتصف بأضدادها .

الوجه السابع : أن يقال : مجرد سلب هذه الصفات نقص لذاته سواء سميت عمى ، وصمما ، وبكما ، أو لم تسم . والعلم بذلك ضرورى ، فأما إذا قدرنا موجودين أحدهما يسمع ، ويبصر ، ويتكلم ، والآخر ليس كذلك : كان الأول أكمل من الثانى .

ولهذا عاب الله سبحانه من عبد ما تتفى فيه هذه الصفات ؛ فقال تعالى عن إبراهيم الخليل : ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ، وَلَا يَبْصُرُ ، وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾<sup>(١٥٤)</sup> وقال أيضاً فى قصته : ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾<sup>(١٥٥)</sup> وقال تعالى عنه : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(١٥٦)</sup> .

وكذلك فى قصة موسى فى العجل : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾<sup>(١٥٧)</sup> . وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاةٍ ، أَيْتَمًا يُوَجِّهه لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(١٥٨)</sup> .

فقابل بين الأبكم العاجز ، وبين الأمر بالعدل : الذى هو على صراط مستقيم .

(١٥٤) سورة مريم الآية (٤٢) .

(١٥٥) سورة الأنبياء الآية (٦٣) .

(١٥٦) سورة الشعراء الآيات (٧٢: ٧٧) .

(١٥٧) سورة الأعراف الآية (١٤٨) .

(١٥٨) سورة النحل الآية (٧٦) .

## التوحيد في العبادات

وأما الأصل الثاني (وهو التوحيد في العبادات) المتضمن للإيمان بالشرع والقدر جميعاً .

فتقول : لا بد من الإيمان بخلق الله وأمره ، فيجب الإيمان بأن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه ، وأنه على كل شيء قدير ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد علم ما سيكون قبل أن يكون ، وقدر المقادير وكتبها حيث شاء ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١٥٩) .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ » .

ويجب الإيمان بأن الله أمر بعبادته وحده لا شريك له ، كما خلق الجن والإنس لعبادته ، وبذلك أرسل رسله ، وأنزل كتبه ، وعبادته تتضمن كمال الذل والحب له ، وذلك يتضمن كمال طاعته ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (١٦٠) .

وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (١٦١) وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١٦٢) وقال تعالى : ﴿ وَإِسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (١٦٣) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١٦٤) .

وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى

(١٦٢) سورة آل عمران الآية (٣١) .

(١٦٣) سورة الزخرف الآية (٤٥) .

(١٦٤) سورة الأنبياء الآية (٢٥) .

(١٥٩) سورة الحج الآية (٧٠) .

(١٦٠) سورة النساء الآية (٨٠) .

(١٦١) سورة النساء الآية (٦٤) .

المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴿١٦٥﴾ وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۗ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿١٦٦﴾ فأمر الرسل بإقامة الدين وأن لا يفرقوا فيه .

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد ، والأنبياء إخوة لعلات ، وإن أولى الناس بابن مريم لأنا ؛ إنه ليس بيني وبينه نبي» .  
وهذا الدين هو دين الإسلام ، الذي لا يقبل الله ديناً غيره ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام ، قال الله تعالى عن نوح ﴿وَإِذْ قَالَ نوحٌ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ ﴿١٦٧﴾ إلى قوله : ﴿وَأْمُرْ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾ .

وقال عن إبراهيم : ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ ﴿١٦٩﴾ إلى قوله : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾ إلى قوله : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٧١﴾ .

وقال عن موسى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ وقال في خير المسيح : ﴿وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ .

وقال فيمن تقدم من الأنبياء : ﴿يَخْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ ﴿١٧٤﴾ وقال عن بلقيس أنها قالت : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ .

فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده ؛ فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته ، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر ،

- |  |                                  |
|--|----------------------------------|
| (١٦٥) سورة الشورى الآية (١٣) .         | (١٧١) سورة البقرة الآية (١٣٢) .  |
| (١٦٦) سورة المؤمنون الآيات (٥١ ، ٥٢) . | (١٧٢) سورة يونس الآية (١٨٤) .    |
| (١٦٧) سورة يونس الآية (٧١) .           | (١٧٣) سورة المائدة الآية (١١١) . |
| (١٦٨) سورة يونس الآية (٧٢) .           | (١٧٤) سورة المائدة الآية (٤٤) .  |
| (١٦٩) سورة البقرة الآيات (١٣٠ ، ١٣١) . | (١٧٥) سورة النمل الآية (٤٤) .    |
| (١٧٠) سورة البقرة الآية (١٣١) .        |                                  |

والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده ، وطاعته وحده .

فهذا دين الإسلام الذى لا يقبل الله غيره ؛ وذلك إنما يكون بأن يطاع كل وقت ، بفعل ما أمر به فى ذلك الوقت ؛ فإذا أمر فى أول الأمر باستقبال الصخرة ، ثم أمرنا ثانياً باستقبال الكعبة : كان كل من الفعلين حين أمر به داخلاً فى الإسلام .

فالدين هو الطاعة والعبادة له فى الفعلين ؛ وإنما تنوع بعض صور الفعل وهو وجه المصلى ، فكذلك الرسل دينهم واحد وإن تنوعت الشريعة والمنهاج ، والوجهة والمنسك ؛ فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحداً ، كما لم يمنع ذلك فى شريعة الرسول الواحد .

والله تعالى جعل من دين الرسل : أن أولهم يبشر بآخريهم ويؤمن به ، وآخريهم يصدق بأولهم ويؤمن به ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَأْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَأْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٧٦﴾ .

قال ابن عباس : لم يبعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ، وقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ، وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿١٧٧﴾ .

وجعل الإيمان متلازماً ، وكفر من قال : أنه آمن ببعض وكفر ببعض قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿١٧٨﴾ وقال تعالى : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا حِزْبٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴿١٧٩﴾ إلى قوله : ﴿تَعْمَلُونَ﴾ .

(١٧٨) سورة النساء الآيات (١٥٠ ، ١٥١)

(١٧٩) سورة البقرة الآية (٨٥) .

(١٧٦) سورة آل عمران الآية (٨١) .

(١٧٧) سورة المائدة الآية (٤٨) .

وقد قال لنا : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٨٠) .

فأمرنا أن نقول : آمنا بهذا كله ، ونحن له مسلمون ، فمن بلغته رسالة محمد ﷺ فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلماً ، ولا مؤمناً ؛ بل يكون كافراً وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن .

كما ذكروا أنه لما أنزل الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١٨١) قالت اليهود والنصارى : فنحن مسلمون : فأُنزل الله : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (١٨٢) فقالوا : لا نخرج فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٨٣) .

فإن الاستسلام لا يتم إلا بالقرار بماله على عباده من حج البيت ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ » . ولهذا لما وقف النبي ﷺ بعرفة أنزل الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ ، دِينًا ﴾ (١٨٤) .

وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى ، هل هم مسلمون أم لا ؟ وهو نزاع لفظي ، فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمداً ﷺ ، المتضمن لشريعة القرآن : ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ ، اليوم عند الاطلاق يتناول هذا ، وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبياً فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء .

ورأس الإسلام مطلقاً شهادة أن لا إله إلا الله ، وبها بعث جميع الرسل ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١٨٥) وقال

(١٨٠) سورة البقرة الآيات (١٣٧ ، ١٣٦) .

(١٨١) سورة آل عمران الآية (٨٥) .

(١٨٢) سورة آل عمران الآية (٣) .

(١٨٣) سورة آل عمران الآية (٩٧) .

(١٨٤) سورة النحل الآية (٣٦) .

(١٨٥) سورة آل عمران الآية (٩٧) .

تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ نُوحِي إِلَيْهِ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١٨٦) وقال عن الخليل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ - إِلَّا الْبَدِيءَ فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ - وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٨٧) وقال تعالى عنه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ - أَنْتُمْ وَأَبَاءُكُمْ الْأَقْدَمُونَ - فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٨٨) وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ (١٨٩) وقال ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (١٩٠) .

وذكر عن رسله : كنوح ، وهود ، وصالح ، وغيرهم أنهم قالوا لقومهم : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (١٩١) وقال عن أهل الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ فِيئَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِزْقَانَهُمْ هَدَى - وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ (١٩٢) إلى قوله : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (١٩٣) .

وقد قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١٩٤) ذكر ذلك في موضعين من كتابه .

وقد بين في كتابه الشرك بالملائكة ، والشرك بالأنبياء . والشرك بالكواكب ، والشرك بالاصنام — وأصل الشرك الشرك بالشیطان — فقال عن النصارى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بْنِ مَرْيَمَ ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٩٥) وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي

- |                                     |                                       |
|-------------------------------------|---------------------------------------|
| (١٨٦) سورة الأنبياء الآية (٢٥) .    | (١٨٧) سورة الزخرف الآيات (٢٦ : ٢٨) .  |
| (١٨٧) سورة الكهف الآيات (١٣ : ١٥) . | (١٨٨) سورة الشعراء الآيات (٧٥ : ٧٧) . |
| (١٩٢) سورة الكهف الآية (١٥) .       | (١٨٩) سورة المنتحة الآية (٤) .        |
| (١٩٤) سورة النساء الآية (٤٨) .      | (١٩٠) سورة الزخرف الآية (٤٥) .        |
| (١٩٥) سورة التوبة الآية (٣١) .      |                                       |

وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ « مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ  
 اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ » (١١٦) وقال تعالى : « مَا كَانَ لِيَشْرَأَ أَنْ يُوْتِيََ اللَّهُ الْكِتَابَ  
 وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ » (١١٧) إلى قوله : « وَلَا  
 يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُتَّخَذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » (١١٨)  
 فيبين إن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر .

ومعلوم أن أحداً من الخلق لم يزعم أن الأنبياء ، والأحبار ، والرهبان ، والمسيح بن  
 مريم ، شاركوا الله في خلق السموات والأرض .

بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال .

بل ولا أثبت أحد من بنى آدم إلهاً مساوياً لله في جميع صفاته .

بل عامة المشركين بالله مقرون بأنه ليس شريكه مثله بل عامتهم يقرون أن الشريك  
 مملوك له سواء كان ملكاً أو نبياً أو كوكباً أو صنماً كما كان مشركو العرب يقولون في  
 تليبتهم : « لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك » فأهل رسول الله ﷺ  
 بالتوحيد وقال : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة  
 لك والملك ، لا شريك لك » .

وقد ذكر أرباب المقالات : ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين ، في الملل  
 والنحل ، والآراء والديانات ، فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع  
 المخلوقات ، ولا مماثل له في جميع الصفات ؛ بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول الثنوية  
 الذين يقولون بالأصلين « النور » و « الظلمة » ، وأن النور خلق الخير ، والظلمة خلقت  
 الشر .

ثم ذكروا لهم في الظلمة قولين :

أحدهما : أنها محدثة ، فتكون من جملة المخلوقات له .

والثاني : أنها قديمة ، لكنها لم تفعل إلا الشر ، فكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها  
 ومفعولاتها عن النور .

(١٩٦) سورة المائدة الآيات (١١٦ ، ١١٧) .

(١٩٧) سورة آل عمران الآية (٧٩) .

(١٩٨) سورة آل عمران الآية (٨٠) .





يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم ، وإن قالوا : أنهم خلقوا أفعالهم .  
وكذلك أهل الفلسفة والطبع والنجوم ، الذين يجعلون أن بعض المخلوقات مبدعة  
لبعض الأمور ، هم مع الإقرار بالصانع يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة ، لا  
يقولون أنها غنية عن الخالق مشاركة له في الخلق ، فأما من أنكر الصانع فذاك جاحد  
معطل للصانع ، كالقول الذى أظهر فرعون .

والكلام الآن مع المشركين بالله ، المقربين بوجوده ، فإن هذا التوحيد الذى قرروه لا  
يتزعمهم فيه هؤلاء المشركون ، بل يقرون به مع أنهم مشركون ، كما ثبت بالكتاب  
والسنة والإجماع ، وكما علم بالاضطرار من دين الإسلام .

وكذلك « النوع الثانى » — وهو قولهم : لا شبيه له في صفاته — فإنه ليس في الأمم  
من أثبت قديماً مماثلاً له في ذاته سواء قال أنه يشاركه . أو قال : أنه لا فعل له ؛ بل من  
شبه به شيئاً من مخلوقاته فإنما يشبه به في بعض الأمور .

وقد علم بالعقل امتناع أن يكون له مثل في المخلوقات يشاركه فيما يجب أو يجوز أو  
يبتنع عليه ؛ فإن ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين كما تقدم .

وعلم أيضاً بالعقل أن كل موجودين قائمين بأنفسهما فلا بد بينهما من قدر مشترك  
كاتفاقهما في مسمى الوجود ، والقيام بالنفس ، والذات ونحو ذلك ، فإن نفى ذلك  
يقتضى التعطيل المحض ، وأنه لا بد من إثبات خصائص الربوبية ، وقد تقدم الكلام على  
ذلك .

ثم إن الجهمية من المعتزلة وغيرهم أدرجوا نفى الصفات في مسمى التوحيد ، فصار  
من قال : إن لله علماً أو قدرة ، أو أنه يرى في الآخرة ، أو أن القرآن كلام الله منزل  
غير مخلوق يقولون : أنه مشبه ليس بموحد .

وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والقرامطة ، فنفوا أسماءه الحسنى ، وقالوا : من قال إن الله  
عليم قدير ، عزيز حكيم : فهو مشبه ليس بموحد .

وزاد عليهم غلاة الغلاة ، وقالوا : لا يوصف بالنفى ولا الإثبات ؛ لأن في كل منهما  
تشبيهاً له ، وهؤلاء كلهم وقعوا من جنس التشبيه فيما هو شر مما فروا منه ، فإنهم شبهوه  
بالممتنع ، والمعدومات ، والجمادات ، فراراً من تشبيهم — بزعمهم — له بالأحياء .

ومعلوم أن هذه الصفات الثابتة لله لا تثبت له على حد ما يثبت لمخلوق أصلاً ، وهو سبحانه وتعالى ليس كمثل شئ لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فلا فرق بين إثبات الذات وإثبات الصفات ؛ فإذا لم يكن في إثبات الذات إثبات مماثلة للذوات : لم يكن في إثبات الصفات إثبات مماثلة له في ذلك ، فصار هؤلاء الجهمية المعطلة يجعلون هذا توحيداً ؛ ويجعلون مقابل ذلك التشبيه ويسمون نفوسهم الموحدين .

وكذلك « النوع الثالث » وهو قولهم : هو واحد لا قسيم له في ذاته ، أو لا جزء له ، أو لا بعض له ؛ لفظ مجمل ، فإن الله سبحانه أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ؛ فيمتنع عليه أن يتفرق ، أو يتجزأ أو يكون قد ركب من أجزاء ، لكنهم يدرجون في هذا اللفظ نفى علوه على عرشه ، ومباينته لخلقه ، وامتيازه عنهم ، ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله ، ويجعلون ذلك من التوحيد .

فقد تبين أن ما يسمونه توحيداً : فيه ما هو حق ، وفيه ما هو باطل ، ولو كان جميعه حقاً ؛ فإن المشركين إذا أقروا بذلك كله لم يخرجوا من الشرك ، الذي وصفهم به في القرآن وقاتلهم عليه الرسول ﷺ ؛ بل لابد أن يعترفوا أنه لا إله إلا الله .

وليس المراد (بالإله) هو القادر على الاختراع ، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين ، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره ، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو .

فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه ، بل الإله الحق هو الذي يستحق بأن يعبد ، فهو إله بمعنى مألوه ؛ لا إله بمعنى آله ؛ والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له ، والإشراك أن يجعل مع الله إلهاً آخر

وإذا تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار أهل الإثبات للقدر ، المنتسبون إلى السنة إنما هو توحيد الربوبية ، وإن الله رب كل شئ ، ومع هذا فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع أنهم مشركون .

وكذلك طوائف من أهل التصوف ، والمنتسبين إلى المعرفة ، والتحقيق والتوحيد ؛ غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد ، وأن يشهد أن الله رب كل شئ ، ومليكه وخالقه ، ولا سيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده ، وبمشهوده عن شهوده

ويعرفه عن معرفته ، ودخل في فناء توحيد الربوبية بحيث يفنى من لم يكن ، ويبقى من لم يزل ، فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها .

ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد ، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلماً ، فضلاً عن أن يكون ولياً لله ، أو من سادات الأولياء .

وطائفة من أهل التصوف والمعرفة : يقررون هذا التوحيد مع إثبات الصفات ، فيفتنون في توحيد الربوبية مع إثبات الخالق للعالم ، المبين لمخلوقاته ، وآخرون يضمون هذا إلى نفى الصفات ، فيدخلون في التعطيل مع هذا ، وهذا شر من حال كثير من المشركين .

وكان جهم بن صفوان<sup>(٢٠٤)</sup> ينفي الصفات ويقول بالجبر ، فهذا تحقيق قول جهم ، لكنه إذا أثبت الأمر والنهي ، والثواب والعقاب : فارق المشركين من هذا الوجه ، لكن جهم من اتبعه يقول بالإرجاء ؛ فيضعف الأمر والنهي ، والثواب والعقاب عنده .

... رية والضرارية وغيرهم : يقربون من جهم في مسائل القدر والإيمان مع مقاربتهم له أيضاً في نفى الصفات .

**والكلابية والأشعرية**<sup>(٢٠٥)</sup> : خير من هؤلاء في باب الصفات ، فإنهم يثبتون لله الصفات العقلية ، وأثبتهم يثبتون الصفات الخبرية في الجملة ، كما فصلت أقوالهم في غير هذا الموضع .

وأما في باب القدر ، ومسائل الأسماء والأحكام ، فأقوالهم متقاربة .

**والكلابية** هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ، الذي سلك الأشعرية خطته .

---

(٢٠٤) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان : جهم بن صفوان الضال المتدع رأس الجهمية هلك في زمان التابعين قتله نصر بن سيار سنة ١٢٨ هجرية

(٢٠٥) الأشعرية ولد أبو الحسن الأشعرى رأس المذهب في البصرة سنة ٢٦٠ أو ٢٧٠ هجرية وتولى رحمة الله في بغداد سنة ٣٣٠ هجرية أو قبلها أو بعدها انتهى مذهبا من مذاهب علماء الكلام ثم إن الله تقبل توبته ورجع للمذهب أهل السنة ومات عليها وله من المؤلفات :

— الإبانة عن أصول الديانة .

— ومقالات الإسلاميين وغيرهما من الكتب .

وأصحاب ابن كلاب كالحارث المحاسبي ، وأبي العباس القلانسي ونحوهما . خير من الأشعرية في هذا وهذا ، فكلما كان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل .

والكرامية<sup>(٢٠٦)</sup> قولهم في الإيمان قول منكر ، لم يسبقهم إليه أحد ، حيث جعلوا الإيمان قول اللسان ، وإن كان مع عدم تصديق القلب ، فيجعلون المنافق مؤمناً ؛ لكنه يخلد في النار فخالفوا الجماعة في الاسم دون الحكم ، وأما في الصفات والقدر والوعيد فهم أشبه من أكثر طوائف الكلام التي في أقوالها مخالفة للسنة .

وأما المعتزلة ، فهم ينفون الصفات ويقاربون قول جهم ، لكنهم ينفون القدر ؛ فهم وإن عظموا الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ؛ وغلوا فيه ؛ فهم يكذبون بالقدر ، فقبيح نوع من الشرك من هذا الباب ، والإقرار بالأمر والنهي والوعد والوعيد مع إنكار القدر خير من الإقرار بالقدر مع إنكار الأمر والنهي والوعد والوعيد .

ولهذا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين من ينفي الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ؛ وكان قد نبغ فيهم القدرية ، كما نبغ فيهم الخوارج : الحرورية ، وإنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخفى ، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة .

فهؤلاء المتصوفون ، الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع إعراضهم عن الأمر والنهي ؛ شر من القدرية المعتزلة ونحوهم : أولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشبهون المشركين ، الذين قالوا : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٢٠٧)</sup> والمشركون شر من المجوس .

فهذا أصل عظيم ، على المسلم أن يعرفه ؛ فإنه أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر ، وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

(٢٠٦) الكرامية : أصحاب محمد بن كرام يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين على الحقيقة ، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان . مقالات الإسلاميين (١/٢١٣) .

مات محمد بن كرام في السجن بنيسابور بعد أن سجن ثمانية أعوام سنة ٢٥٥ هجرية .

(٢٠٧) سورة الأنعام الآية (١٤٨) .

وقد وقع كثير من الناس في الإخلال بحقيقة هذين الأصلين ، أو أحدهما مع ظنه أنه في غاية التحقيق والتوحيد ، والعلم والمعرفة .

فإقرار المشرك بأن الله رب كل شيء ، ومليكه وخالقه : لا ينجيه من عذاب الله ، إن لم يقتن به إقراره بأنه لا إله إلا الله ، فلا يستحق العبادة أحد إلا هو ؛ وأن محمداً رسول الله ، فيجب تصديقه فيما أخير ، وطاعته فيما أمر ، فلا بد من الكلام في هذين الأصلين :

الأصل الأول «توحيد الإلهية» فإنه سبحانه أخير عن المشركين كما تقدم بأنهم أثبتوا وسائط بينهم وبين الله ، يدعونهم ويتخذونهم شفعاء بدون إذن الله ، قال تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، قُلْ أَتُبَيِّنُونَ لِلَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢٠٨)</sup> فأخبر أن هؤلاء الذين اتخذوا هؤلاء شفعاء مشركون .

وقال تعالى عن مؤمن يس ﴿وَمَا لِيَ لَا أُعْبَدُ الَّذِي فطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، أَلَا تَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقَدُونَ﴾ إلى إذا لفي ضلال مبين . إلى آمنت بربكم فاستمعون<sup>(٢٠٩)</sup> وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾<sup>(٢١٠)</sup> فأخبر سبحانه عن شفعاتهم أنهم زعموا أنهم فيهم شركاء ، وقال تعالى : ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ قال الله الشفاعة جميعاً لله ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون<sup>(٢١١)</sup> وقال تعالى : ﴿مَا لَكُمْ مَنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾<sup>(٢١٢)</sup> وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخَسَّرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مَنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾<sup>(٢١٣)</sup> وقال تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٢١٤)</sup> وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَ اللَّهِ

(٢١٢) سورة السجدة الآية ٤

(٢١٣) سورة الأنعام الآية ٥١

(٢١٤) سورة البقرة الآية ٢٥٥

(٢٠٨) سورة يونس الآية ١٨

(٢٠٩) سورة يس الآيات ٢٢ ، ٢٥ .

(٢١٠) سورة الأنعام الآية ٩٤

(٢١١) سورة الزمر الآيات ٤٣ ، ٤٤

بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْئِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢١٥﴾ وقال تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ ﴿٢١٦﴾ وقال تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٌ ۝ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ ﴿٢١٧﴾ وقال تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ﴿٢١٨﴾ .

قال طائفة من السلف : كان قوم يدعون العزيز والمسيح والملائكة فأنزل الله هذه الآية يبين فيها أن الملائكة والأنبياء يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه .

ومن تحقيق التوحيد : أن يعلم أن الله تعالى أثبت له حقاً لا يشركه فيه مخلوق ؛ كالعبادة والتوكل ، والخوف والخشية ، والتقوى ، كما قال تعالى : ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُورًا﴾ ﴿٢١٩﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٢٢٠﴾ وقال تعالى : ﴿قُلِ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٢٢١﴾ وقال تعالى : ﴿قُلِ أَغْفِرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْ أُعْبِدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ﴿٢٢٢﴾ إلى قوله : ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ وكل من الرسل يقول لقومه : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ ﴿٢٢٣﴾ .

وقد قال تعالى في التوكل : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٢٤﴾ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٢٥﴾ وقال : ﴿قُلِ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٢٢٦﴾

- |                             |                                    |
|-----------------------------|------------------------------------|
| (٢٢١) سورة الزمر الآية ١١   | (٢١٥) سورة الأنبياء الآيات ٢٦ : ٢٨ |
| (٢٢٢) سورة الزمر الآية ٦٤   | (٢١٦) سورة النجم الآية ٢٦          |
| (٢٢٣) سورة الأعراف الآية ٥٩ | (٢١٧) سورة سبأ الآيات ٢٢ ، ٢٣      |
| (٢٢٤) سورة المائدة الآية ٢٣ | (٢١٨) سورة الإسراء ٥٦ ، ٥٧         |
| (٢٢٥) سورة إبراهيم الآية ١١ | (٢١٩) سورة الإسراء الآية ٢٢        |
| (٢٢٦) سورة الزمر الآية ٣٨   | (٢٢٠) سورة الزمر الآية ٢           |

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٢٢٧) .

فقال في الإتيان : ﴿ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ وقال في التوكل : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ ولم يقل : ورسوله ؛ لأن الإتيان هو الاعطاء الشرعى ، وذلك يتضمن الإباحة والإحلال ، الذى بلغه الرسول ، فإن الحلال ما أحله ، والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٢٢٨) .

وأما الحسب فهو الكافى ، والله وحده كاف عبده ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٢٢٩) فهو وحده حسبيهم كلهم ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٣٠) أى حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين هو الله ، فهو كافيكم كلكم .

وليس المراد أن الله والمؤمنين حسبك ، كما يظنه بعض الغالطين ، إذ هو وحده كاف نبيه ، وهو حسبه ، ليس معه من يكون هو وإياه حسباً للرسول ، وهذا فى اللغة كقول الشاعر :

فحسبك والضحاك سيف مهند .

وقال فى الخوف والخشية والتقوى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ الَّذِي يَبْقَى فَاولئك هم القائرون ﴾ (٢٣١) فأثبت الطاعة لله والرسول ، وأثبت الخشية والتقوى لله وحده ، كما قال نوح عليه السلام : ﴿ إني لكم نذير مبين » أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾ (٢٣٢) فجعل العبادة والتقوى لله وحده ، وجعل الطاعة للرسول ؛ فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله .

وقد قال تعالى : ﴿ فلا تخشوا الناسَ والحشون ﴾ (٢٣٣) وقال تعالى : ﴿ فلا

(٢٣١) سورة النور الآية ٥٢

(٢٣٢) سورة نوح الآيات ٢ ، ٣

(٢٣٣) سورة المائدة الآية ٤٤

(٢٢٧) سورة التوبة الآية ٥٩

(٢٢٨) سورة الحشر الآية ٧

(٢٢٩) سورة آل عمران الآية ١٧٣

(٢٣٠) سورة الأنفال الآية ٦٤

تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣٤﴾ وقال الخليل عليه السلام : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَلَكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٣٥﴾ .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود أنه قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي ﷺ : « إنما هو الشرك أو لم تسمعوا إلى قول العبد الصالح : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٢٣٦﴾ ؟ وقال تعالى : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ فَاذْهَبَونَ ﴾ ﴿٢٣٧﴾ .

ومن هذا الباب أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته : « من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ، ولن يضر الله شيئا » .  
وقال : « ولا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد » .

ففي الطاعة : قرن اسم الرسول باسمه بحرف الواو ، وفي المشيئة : أمر أن يجعل ذلك بحرف ثم ، وذلك لأن طاعة الرسول طاعة لله ، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله ، وطاعة الله طاعة الرسول ، بخلاف المشيئة فليست مشيئة أحد من العباد مشيئة الله ، ولا مشيئة الله مستلزمة لمشيئة العباد ، بل ما شاء الله كان ، وإن لم يشأ الناس ، وما شاء الناس لم يكن إن لم يشأ الله .

الأصل الثاني :

حق الرسول ﷺ .

فعلينا أن نؤمن به ونطيعه ونتبعه ، ونرضيه ونحبه ونسلم لحكمه ، وأمثال ذلك ، قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ ﴿٢٣٨﴾ وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ ﴿٢٣٩﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ ، وَأَبْنَاؤُكُمْ ، وَإِخْوَانُكُمْ ،

(٢٣٧) سورة البقرة الآيات ٤٠ ، ٤١

(٢٣٨) سورة النساء الآية ٨٠

(٢٣٩) سورة التوبة الآية ٦٢

(٢٣٤) سورة آل عمران الآية ١٧٥

(٢٣٥) سورة الأنعام الآيات ٨١ ، ٨٢

(٢٣٦) سورة لقمان الآية ١٣



وَأَزْوَاجِكُمْ ، وَعَشِيرَتِكُمْ ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ،  
وَمَسَاكِينٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ  
اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴿٢٤٠﴾ وقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ  
بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَلْسِنِهِمْ خَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٢٤١﴾ وقال  
تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ﴿٢٤٢﴾ وأمثال ذلك .

---

(٢٤٠) سورة التوبة الآية ٢٤

(٢٤١) سورة النساء الآية ٦٥

(٢٤٢) سورة آل عمران الآية ٣١

## الإيمان بخلق الله وأمره

وإذا ثبت هذا : فمن المعلوم أنه يجب الإيمان بخلق الله وأمره : بقضائه وشرعه .  
وأهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق : مجوسية ، ومشركية ،  
وإبليسية .

فالمجوسية : الذين كذبوا بقدر الله وإن آمنوا بأمره ونهيه ؛ فغلاتهم أنكروا العلم  
والكتاب ، ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته وخلقته وقدرته ، وهؤلاء هم المعتزلة ومن  
واقفهم .

والفرقة الثانية : المشركية الذين أقرروا بالقضاء والقدر ، وأنكروا الأمر والنهي ؛ قال  
تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَوْثَنَا مِنْ  
شَيْءٍ ﴾ (٢٤٣) فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء ، وهذا قد كثر  
فيمن يدعى الحقيقة من المتصوفة .

والفرقة الثالثة : وهم الإبليسية الذين أقرروا بالأمرين ، لكن جعلوا هذا متناقضاً من  
الرب — سبحانه وتعالى — وطعنوا في حكمته وعدله ، كما يذكر ذلك عن إبليس  
مقدمهم ؛ كما نقله أهل المقالات ، ونقل عن أهل الكتاب .

والمقصود أن هذا مما تقوله أهل الضلال ؛ وأما أهل الهدى والفلاح : فيؤمنون بهذا  
وهذا ، ويؤمنون بأن الله خالق كل شيء ، وربهم ومليكه ، وما شاء كان وما لم يشأ لم  
يكن ، وهو على كل شيء قدير ، وأحاط بكل شيء علماً ، وكل شيء أحصاه في إمام  
مبين .

ويتضمن هذا الأصل من إثبات علم الله ، وقدرته ومشيئته ، ووحدانيته وربوبيته ،  
وأنة خالق كل شيء ، وربهم ومليكه : ما هو من أصول الإيمان .

ومع هذا فلا ينكرون ما خلقه الله من الأسباب ، التي يخلق بها المسببات ؛ كما قال  
تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَقْلَتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيْتٍ ، فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ

(٢٤٣) سورة الأنعام الآية ١٤٨

مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿٢٤٤﴾ وقال تعالى : ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ ﴿٢٤٥﴾ وقال تعالى : ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ ﴿٢٤٦﴾ فأخبر أنه يفعل بالأسباب .

ومن قال : إنه يفعل عندها لا بها فقد خالف ما جاء به القرآن ، وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع ، وهو شبهه بإنكار ما خلقه الله من القوى التي في الحيوان ، التي يفعل الحيوان بها ، مثل قدرة العبد ، كما أن من جعلها هي المبدعة لذلك فقد أشرك بالله وأضاف فعله إلى غيره .

وذلك أنه ما من سبب من الأسباب إلا وهو مفتقر إلى سبب آخر في حصول مسببه ، ولا بد من مانع يمنع مقتضاه ، إذا لم يدفعه الله عنه ، فليس في الوجود شيء واحد مستقل بفعل شيء إذا شاء الله وحده ، قال تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٤٧﴾ أى فتعلمون أن خالق الأزواج واحد .

ولهذا من قال : إن الله لا يصدر عنه إلا واحد — لأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد — كان جاهلا ، فإنه ليس في الوجود واحد صدر عنه وحده شيء — لا واحد ولا اثنان — إلا الله خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون . فالنار التي خلق الله فيها حرارة لا يحصل الإحراق إلا بها ، وبمحل يقبل الاحتراق ، فإذا وقعت على السمندل والياقوت ونحوهما لم تحرقهما ، وقد يظلى الجسم بما يمنع إحراقه .

والشمس التي يكون عنها الشعاع لا بد من جسم يقبل انعكاس الشعاع عليه ، فإذا حصل حاجز من سحب أو سقف : لم يحصل الشعاع تحته ، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا : أنه لا بد من «الإيمان بالقدر» فإن الإيمان بالقدر من تمام التوحيد ، كما قال ابن عباس : هو نظام التوحيد ، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيدته ، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض توحيدته .

(٢٤٦) سورة البقرة الآية ٢٦  
(٢٤٧) سورة الذاريات الآية ٤٩

(٢٤٤) سورة الأعراف الآية ٥٧  
(٢٤٥) سورة المائدة الآية ١٦

ولا بد من الإيمان بالشرع ، وهو الإيمان بالأمر والنهي والوعد والوعيد ، كما بعث الله بذلك رسله وأنزل كتبه .

والإنسان مضطر إلى شرع في حياته الدنيا فإنه لا بد له من حركة يجلب بها منفعته . وحركة يدفع بها مضرته ؛ والشرع هو الذي يميز بين الأفعال التي تنفعه ، والأفعال التي تضره ، وهو عدل الله في خلقه ، ونوره بين عباده ؛ فلا يمكن الآدميين أن يعيشوا بلا شرع يميزون به بين ما يفعلونه ويتركونه .

وليس المراد بالشرع مجرد العدل بين الناس في معاملاتهم ، بل الإنسان المنفرد لا بد له من فعل وترك ؛ فإن الإنسان همam حارث ، كما قال النبي ﷺ «أصدق الأسماء حارث وهمam» وهو معنى قولهم متحرك بالإرادات ، فإذا كان له إرادة فهو متحرك بها ، ولا بد أن يعرف ما يريد ، هل هو نافع له أو ضار ؟ وهل يصلحه أو يفسده ؟ .

وهذا قد يعرف بعضه الناس بفطرتهم كما يعرفون انتفاعهم بالأكل والشرب ، وكما يعرفون ما يعرفون من العلوم الضرورية بفطرتهم ، وبعضهم يعرفونه بالاستدلال الذي يبتدون به بعقولهم ، وبعضه لا يعرفونه إلا بتعريف الرسل وبيانهم لهم وهدايتهم لهم . وفي هذا المقام تكلم الناس في أن الأفعال هل يعرف لها حسن وقبيح بالعقل ، أم ليس لها حسن ولا قبيح يعرف بالعقل ؟ كما قد بسط في غير هذا الوضع ، وبيننا ما وقع في هذا الموضوع من الاشتباه .

فإنهم اتفقوا على أن كون الفعل يلامم الفاعل أو ينافره يعلم بالعقل ، وهو أن يكون الفعل سبباً لما يحبه الفاعل ويلتذ به ، وسبباً لما يبغضه ويؤذيه وهذا القدر يعلم بالعقل تارة ، وبالشرع أخرى ، وبهما جميعاً أخرى ؛ لكن معرفة ذلك على وجه التفصيل ، ومعرفة الغاية التي تكون عاقبة الأفعال : من السعادة والشقاوة في الدار الآخرة ، لا تعرف إلا بالشرع .

فما أخبرت به الرسل من تفاصيل اليوم الآخر وأمرت به من تفاصيل الشرائع لا يعلمه الناس بعقولهم ، كما أن ما أخبرت به الرسل من تفاصيل أسماء الله وصفاته لا يعلمه الناس بعقولهم ، وإن كانوا قد يعلمون بعقولهم جمل ذلك .

وهذا التفصيل الذي يحصل به الإيمان وجاء به الكتاب هو ما دل عليه قوله تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ أَرْخِينَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾<sup>(٢٤٨)</sup> وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضَلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوجِي إِلَى رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾<sup>(٢٤٩)</sup> وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾<sup>(٢٥٠)</sup> .

ولكن توهمت طائفة إن للحسن والقبح معنى غير هذا ، وأنه يعلم بالعقل ، وقابلتهم طائفة أخرى ظنت أن ما جاء به الشرع من الحسن والقبح : يخرج عن هذا ، فكلا الطائفتين اللتين أتبتا الحسن والقبح العقليين أو الشرعيين ، وأخرجتاه عن هذا القسم غلطت .

ثم إن كلتا الطائفتين لما كانتا تتكرران أن يوصف الله بالحبه والرضا ، والسخط والفرح ، ونحو ذلك مما جاءت به النصوص الإلهية ودلت عليه الشواهد العقلية : تنازعا بعد اتفاقهم على أن الله لا يفعل ما هو منه قبيح هل ذلك ممتنع لذاته ، وأنه لا يتصور قدرته على ما هو قبيح ، وأنه سبحانه منزه عن ذلك ، لا يفعله مجرد القبح الذي أثبتوه ؟ على قولين .

والقولان في الانحراف من جنس القولين المتقدمين ، أولئك لم يفرقوا في خلقه وأمره بين الهدى والضلال ، والطاعة والمعصية ، والأبرار والفجار ، وأهل الجنة وأهل النار ، والرحمة والعذاب ، فلا جعلوه محموداً على ما فعله من العدل أو ما تركه من الظلم ، ولا ما فعله من الإحسان والنعمة ، وما تركه من التعذيب والنقمة .

والآخرون زهوه بناء على القبح العقلي الذي أثبتوه ، ولا حقيقة له ، وسووه بخلقهم فيما يحسن ويقبح ، وشبهوه بعباده فيما يأمر به وينهى عنه .

فمن نظر إلى القدر فقط ، وعظم الفناء في توحيد الربوبية ، ووقف عند الحقيقة الكونية : لم يميز بين العلم والجهل ، والصدق والكذب ، والبر والفجور ، والعدل والظلم ، والطاعة والمعصية ، والهدى والضلال ، والرشاد والغى ، وأولياء الله وأعدائه ، وأهل الجنة وأهل النار .

(٢٤٨) سورة الشورى الآية ٥٢

(٢٤٩) سورة سبأ الآية ٥٠ .

(٢٥٠) سورة الأنبياء الآية ٤٥

وهؤلاء مع أنهم مخالفون بالضرورة لكتب الله ، ودينه وشرائعه ، فهم مخالفون أيضاً لضرورة الحس والنوق ، وضرورة العقل والقياس ، فإن أحدهم لابد أن يلتذ بشيء ، فيميز بين ما يأكل ويشرب ، وما لا يأكل ولا يشرب ، وبين ما يؤذيه من الحر والبرد ، وما ليس كذلك ، وهذا التمييز بين ما ينفعه ويضره هو الحقيقة الشرعية الدينية .

ومن ظن أن البشر ينتهي إلى حد يستوى عنده الأمران دائماً : فقد اقرى وخالف ضرورة الحس ؛ ولكن قد يعرض للإنسان بعض الأوقات عارض ، كالسكر والإغماء ونحو ذلك مما يشغل عن الإحساس ببعض الأمور ، فأما أن يسقط إحساسه بالكلية مع وجود الحياة فيه فهذا ممتنع ، فإن النائم لم يفقد إحساس نفسه ، بل يرى في منامه ما يسوءه تارة ، وما يسره أخرى .

فالأحوال التي يعبر عنها بالاصطلام والفتاء والسكر ونحو ذلك ، إنما تتضمن عدم الإحساس ببعض الأشياء دون بعض ، فهي مع نقص صاحبها — لضعف تمييزه — لا تنتهي إلى حد يسقط فيه التمييز مطلقاً ، ومن نفى التمييز في هذا المقام مطلقاً ، وعظم هذا المقام فقد غلط في الحقيقة الكونية والدينية : قدراً وشرعاً ، وغلط في خلق الله وفي أمره حيث ظن أن وجود هذا ؛ لا وجود له ، وحيث ظن أنه ممدوح ، ولا مدح في عدم التمييز : العقل والمعرفة .

وإذا سمعت بعض الشيوخ يقول : أريد أن لا أريد ، أو أن العارف لا حظ له ، وأنه يصير كالميت بين يدي الغاسل ونحو ذلك ، فهذا إنما يمدح منه سقوط إرادته التي يؤمر بها وعدم حظه الذي لم يؤمر بطلبه ، وأنه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه ، وترك دفع ما لم يؤمر بدفعه .

ومن أراد بذلك أنه تبطل إرادته بالكلية وأنه لا يحس باللذة والألم ؛ والنافع والضار ، فهذا مخالف لضرورة الحس والعقل والدين .

### فصل في أقسام الفناء الثلاثة

أحدها : هو الفناء الديني الشرعي الذي جاءت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ، وهو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به : فيفنى عن عبادة غيره بعبادته ، وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله ، وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه ، وعن محبة

ما سواه بمحبته ومحبة رسوله ؛ وعن خوف غيره بخوفه ، بحيث لا يتبع العبد هواه بغير هدى من الله ، وبحيث يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ، وَأَزْوَاجُكُمْ ، وَعَشِيرَتُكُمْ ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (٢٥١) فهذا كله هو مما أمر الله به ورسوله .

وأما (الفناء الثاني) : وهو الذى يذكره بعض الصوفية ، وهو أن يفتى عن شهود ما سوى الله تعالى ، فيفتى بمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته ، بحيث قد يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى ، فهذا حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين ، وليس هو من لوازم طريق الله .

ولهذا لم يعرف مثل هذا للنبي ﷺ وللسابقين الأولين ، ومن جعل هذا نهاية السالكين ، فهو ضال ضللاً مبيهاً ، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطيء ، بل هو من عوارض طريق الله التى تعرض لبعض الناس دون بعض ، ليس هو من اللوازم التى تحصل لكل سالك .

وأما الثالث : فهو الفناء عن وجود السوى ، بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق ، وأن الوجود واحد بالعين ، فهو قول أهل الإلحاد والاتحاد ، الذين هم من أضل العباد .

وأما مخالفتهم لضرورة العقل والقياس : فإن الواحد من هؤلاء لا يمكنه أن يطرد قوله ، فإنه إذا كان مشاهداً للقدر من غير تمييز بين المأمور والمحذور فعومل بموجب ذلك ، مثل أن يضرب ويجاع ، حتى يتلى بعضهم الأوصاب والأوجاع ، فإن لام من فعل ذلك به وعابه فقد نقض قوله وخرج عن أصل مذهبه ، وقيل له : هذا الذى فعله مقضى مقدور ، فخلق الله وقدره ومشيعته : متناول لك وله وهو يعمكما ، فإن كان القدر حجة لك فهو حجة لهذا ، وإلا فليس بحجة لا لك ولا له .

فقد تبين بضرورة العقل فساد قول من ينظر إلى القدر ، ويعرض عن الأمر والنهى ، والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور ويترك المحذور ، ويصبر على المقدور ، كما قال تعالى :

(٢٥١) سورة التوبة الآية ٢٤

﴿وإن تصبروا وثقروا لا يضرركم كيدهم شيئاً﴾ (٢٥٢) .

وقال في قصة يوسف : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٥٣)  
فالتقوى فعل ما أمر الله به . وترك ما نهى الله عنه ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿فاصبر إن  
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَعْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسِبْخِ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (٢٥٤) .

فأمره مع الاستغفار بالصبر ؛ فإن العباد لا بد لهم من الاستغفار أوليهم وآخرهم ، قال  
النبي ﷺ في الحديث الصحيح : «يا أيها الناس ! ثوبوا إلى ربكم ، قر الذي نفسى  
بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» ، وقال : «إِنَّهُ لِيَعَانِ  
عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» .

وكان يقول «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ  
أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَعَمْدِي ، وَهَزْلِي وَجَدِّي ، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي ؛  
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَزْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي  
أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ» .

وقد ذكر عن آدم أبي البشر أنه استغفر ربه وتاب إليه ، فاجتباه ربه فتاب عليه  
وهدى ؛ وعن إبليس أبي الجن - لعنه الله - أنه أصر متعلقاً بالقدر فلعنه وأقصاه ، فمن  
أذنب وتاب وندم فقد أشبهه أباه ، ومن أشبهه أباه فما ظلم ، قال الله تعالى : ﴿وَحَمَلَهَا  
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ  
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢٥٥) .

ولهذا قرن الله سبحانه بين التوحيد والاستغفار في غير آية ، كما قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (٢٥٦) وقال تعالى : ﴿فَاسْتَقِيمُوا  
إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا﴾ (٢٥٦) مكرر وقال تعالى : ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ  
لَدُنِّ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾ . أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِلَهِي لَكُمْ مِنْهُ لَدِيرٌ وَيَسِيرٌ . وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ  
ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يَتَّبِعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٢٥٧) .

(٢٥٦) سورة محمد الآية ١٩

(٢٥٦) مكرر سورة فصلت الآية ٦

(٢٥٧) سورة هود الآيات ١ : ٣

(٢٥٢) سورة آل عمران الآية ١٢٠

(٢٥٣) سورة يوسف الآية ٩٠

(٢٥٤) سورة غافر الآية ٥٥

(٢٥٥) سورة الأحزاب الآيات ٧٢ ، ٧٣



وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره : «يقول الشيطان أهلكم الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ؛ فلما رأيت ذلك بشت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» .

وقد ذكر سبحانه عن ذى النون أنه نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، قال تعالى : ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٥٨) قال النبي ﷺ «دعوة أخى ذى النون مادعا بها مكروب إلا فرج الله كربه» .

وجماع ذلك أنه لا بد له في الأمر من أصلين ، ولا بد له في القدر من أصلين .  
ففى «الأمر» عليه الاجتهاد فى الامتثال علماً وعملاً ، فلا تزال تجتهد فى العلم بما أمر الله به والعمل بذلك .

ثم عليه أن يستغفر ويتوب من تفریطه فى المأمور وتعديه الحدود .

ولهذا كان المشروع أن يختم جميع الأعمال بالاستغفار . فكان النبي ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً . وقد قال تعالى : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (٢٥٩) فقاموا بالليل وختموه بالاستغفار ، وآخر سورة نزلت قول الله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٢٦٠) وفى الصحيح أنه كان ﷺ يكتر أن يقول فى ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى» يتأول القرآن .

وأما فى «القدر» فعليه أن يستعين بالله فى فعل ما أمر به ، ويتوكل عليه ويدعوه ؛ ويرغب إليه ، ويستعيز به ويكون مفتقراً إليه فى طلب الخير وترك الشر .  
وعليه أن يصبر على المقدور ، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ؛ وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه .

(٢٥٨) سورة الأنبياء الآية ٨٨

(٢٥٩) سورة آل عمران الآية ١٧

(٢٦٠) سورة النصر الآيات ١ : ٣

ومن هذا الباب احتجاج آدم وموسى لما قال : يا آدم أنت أبو البشر خلقتك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ؛ لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه فيكم وجدت مكتوباً على من قبل أن أخلق : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾<sup>(٢٦١)</sup> قال : بكذا وكذا ، فحج آدم موسى .

وذلك أن موسى لم يكن عتبه لآدم لأجل الذنب ، فإن آدم كان قد تاب منه ، والتائب من الذنب كم لا ذنب له ؛ ولكن لأجل المصيبة التى لحقتهم من ذلك .

وهم مأمورون أن ينظروا إلى القدر فى المصائب ، وأن يستغفروا من المعائب كما قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾<sup>(٢٦٢)</sup> .

فمن راعى الأمر والقدر كما ذكر : كان عابداً لله مطيعاً له ، مستعيناً به ، متوكلاً عليه ، ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ، وَالصَّادِقِينَ ، وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ؛ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين فى مواضع كقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾<sup>(٢٦٣)</sup> وقوله : ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾<sup>(٢٦٤)</sup> وقوله : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾<sup>(٢٦٥)</sup> وقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾<sup>(٢٦٦)</sup> .

فالعبادة لله والاستعانة به ، وكان النبى ﷺ يقول عند الأضحية « اللهم منك ولك » فما لم يكن بالله لا يكون ؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وما لم يكن لله فلا ينفع ولا يلوم .

ولا بد فى عبادته من أصلين .  
(أحدهما) إخلاص الدين له .

(٢٦٤) سورة هود الآية ١٢٣  
(٢٦٥) سورة الشورى الآية ١٠  
(٢٦٦) سورة الطلاق الآيات ٢ ، ٣

(٢٦١) سورة طه الآية ١٢١  
(٢٦٢) سورة غافر الآية ٥٥  
(٢٦٣) سورة الفاتحة الآية (٥)

(والثاني) موافقة أمره الذي بعث به رسله ؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً ؛ وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى : ﴿لِيَلُوكُمْ أُيُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٢٦٧)</sup> قال : أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا على ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة .

ولهذا ذم الله المشركين في القرآن على اتباع ما شرع لهم شركاؤهم من الدين مالم يأذن به الله من عبادة غيره ، وفعل مالم يشرعه من الدين ، كما قال تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنَ بِهِ اللَّهُ﴾<sup>(٢٦٨)</sup> كما ذمهم على أنهم حرموا مالم يحرمه الله . والدين الحق أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ، ولا دين إلا ما شرعه . ثم إن الناس في عبادته واستعانته على أربعة أقسام : فالمؤمنون المتقون هم له وبه ، يعبدونه ويستعينونه . وطائفة تعبد من غير استعانة ولا صبر ، فتجد عند أحدهم تحميراً للطاعة والورع ولزوم السنة ؛ لكن ليس له توكل واستعانة وصبر ؛ بل فيهم عجز وجزع .

وطائفة فيهم استعانة وتوكل وصبر ، من غير استقامة على الأمر ، ولا متابعة للسنة ، فقد يمكن أحدهم ويكون له نوع من الخال باطناً وظاهراً ، ويعطى من المكاشفات والتأثيرات مالم يعطه الصنف الأول ، ولكن لا عاقبة له ، فإنه ليس من المتقين ، والعاقبة للتقوى ؛ فالأولون لهم دين ضعيف ولكنه مستمر باق ؛ إن لم يفسده صاحبه بالجزع والعجز ؛ وهؤلاء لأحدهم حال قوة ، ولكن لا يبقى له إلا ما وافق فيه الأمر واتبع فيه السنة .

وشر الأقسام من لا يعبد ولا يستعين ؛ فهو لا يشهد أن علمه لله ولا أنه بالله . فالمتعزلة ونحوهم - من القدرية الذين أنكروا القدر - هم في تعظيم الأمر والنهي والوعد والوعيد خير من هؤلاء الجبرية القدرية ، الذين يعرضون عن الشرع ، والأمر والنهي .

والصوفية في القدر ومشاهدة توحيد الربوبية : خير من المعتزلة ، ولكن فيهم من فيه

(٢٦٨) سورة الشورى الآية ٢١

(٢٦٧) سورة الملك الآية ٢

نوع بدع ، مع إعراض عن بعض الأمر والنهى . والوعد والوعيد ، حتى يجعلوا الغاية هى مشاهدة توحيد الربوبية والفناء فى ذلك ، ويصيرون أيضاً معتزلين لجماعة المسلمين وستهم ، فهم معتزلة من هذا الوجه .

وقد يكون ما وقعوا فيه من البدعة شراً من بدعة أولئك المعتزلة ، وكلتا الطائفتين نشأت من البصرة .

وإنما دين الله ما بعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو الصراط المستقيم ، وهو طريقة أصحاب رسول الله ، خير القرون وأفضل الأمة وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين ، قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾<sup>(٢٦٩)</sup> فرضى عن السابقين الأولين رضاً مطلقاً ، ورضى عن التابعين لهم بإحسان .

وقد قال النبي ﷺ فى الأحاديث الصحيحة : « خير القرون القرن الذى بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : من كان منكم مستتاً فليستن بمن قد مات ، فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة ؛ أولئك أصحاب رسول الله ﷺ أبر هذه الأمة قلباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ؛ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما : يا معشر القراء ! استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم ، فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن أخذتم ميمناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً .

وقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ، وخط حوله خطوطاً عن يمينه وشماله ، ثم قال : « هذا سبيل الله ، وهذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾<sup>(٢٧٠)</sup> وقد أمرنا سبحانه أن نقول فى صلاتنا ﴿ اهْتَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

(٢٧٠) سورة الأنعام الآية ١٥٣

(٢٦٩) سورة التوبة الآية ١٠٠

وقال النبي ﷺ : « اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون ؛ وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوا ، النصارى عبدوا الله بغير علم . »

ولهذا كان يقال : تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (٢٧١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة . وقرأ هذه الآية .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٧٢) فأخبر أن هؤلاء مهتدون مفلحون ، وذلك خلاف المغضوب عليهم والضالين .

فنسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر إخواننا صراطه المستقيم ؛ صراط الدين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقيين ، والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

---

(٢٧١) سورة طه الآية ١٢٣

(٢٧٢) سورة البقرة الآيات ١ : ٤

## فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
أأمنتكم من في السماء أن يحسف بكم الأرض فإذا هي تمور	٤٠
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم	٧٩
إذا تناجيتم فلا تناجوا	١٣
إذا ناجيتم الرسول	١٣
إذا جاء نصر الله والفتح	٩٨
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره	٧٩-٨٧
أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض	٧٧
أفرأيتم ما تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون	٧٩
أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٤٢
أفلم يدبروا القول	٤٢
أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون	١١
الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثالي	٤٦
الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة	١١
ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة	١١
الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم	٦-٢٨
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين	١٠٢
ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً	٧٤
أم اتخذوا من دون الله شفعاء	٨٦
أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون	٩
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟	١٠٠
إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم	٦-١٢
إن الذين كفروا بالله ورسله	٧٧
إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون	١٣

- ٤ ..... إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا
- ٤٦ ..... إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون
- ..... إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون
- ٤٦ ..... الصالحات
- ١٠ ..... إن الله بالناس لرؤوف رحيم
- ١١ ..... إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين
- ٧٩ ..... إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
- ١٠ ..... إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها
- ٨٧ ..... إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين
- ١٠ ..... إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً
- ٣٦ ..... إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً
- ٤٩ ..... إنا نحن نزلنا الذكر
- ٧ ..... إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون
- ٩٧ ..... إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
- ١٢ ..... إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً
- ٨٨ ..... إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون
- ٧٩ ..... إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى
- ٤٧ ..... إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك
- ٧٥ ..... ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض
- ١٢ - ٣٥ ..... أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً
- ١١ ..... أو لم يروا أن الذي خلقهم هو أشد منهم قوة
- ٨٨ ..... الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً
- ..... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم
- ٧٨ ..... الإسلام ديناً
- ٦٧ ..... ألا يعلم من خلق
- ٤٦ - ٩٧ ..... الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

- ٤٦ ..... آثر تلك آيات الكتاب الحكيم
- ١٣ ..... الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان
- ١١ ..... العزيز الجبار المتكبر
- ٣٥ ..... بل يده مبسوطتان
- ٣٥ ..... بيده الملك
- ٥ ..... تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً
- ٣٥ ..... تجرى بأعيننا
- ١٢ ..... تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم
- ١٣ ..... تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله
- ١٣ ..... تعلمونهم مما علمكم الله
- ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو  
 ٦ ..... كرها قالتا أتينا طائعين
- ثم استوى على العرش ..... ٣٦
- جزاء بما كانوا يعملون ..... ١٢
- حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت ..... ٩١
- ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ..... ٦
- رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ..... ٧٦
- رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ..... ٣٦-٦
- شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ..... ٧٦
- عليه توكلت وإليه أنيب ..... ٩٩
- فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ..... ١٤
- فرحوا بما عندهم من العلم ..... ١١
- فاسألوهم إن كانوا ينطقون ..... ٧٤
- فاستفتهم أربك البنات ولهم البنون ..... ٥
- فاستجبنا له ونجيناه من الغم ..... ٩٨
- فاستقيموا إليه واستغفروه ..... ٩٧



.....	فسبح بحمد ربك واستغفره	٤٤
.....	فسبحوا في الأرض	٤١
.....	فسيروا في الأرض	٤١
.....	فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين	٦
.....	فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً	٥
.....	فاعبده وتوكل عليه	٩٩
.....	فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات	٩٧
.....	فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى	١٠٢
.....	فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك	٧٦-٩٩
.....	فبشرناه بغلام حليم	١٠
.....	فعميت عليهم الأنبياء	٧٣
.....	فليمدد بسبب إلى السماء	٤١
.....	فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً	٧٩
.....	فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون	٥
.....	فلا تخشوا الناس واخشون	٨٨
.....	فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون	٧٦
.....	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم	٩٠
.....	فيها أنهار من ماء	٥٠
.....	قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض	٨٧
.....	قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي	٩٤
.....	قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها	٩٠-٩٦
.....	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله	١٢-٩٠
.....	قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين	٨٧

- ٨٧ ..... قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون
- قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم  
ولا تحويلاً ..... ٨٧
- ٤٦ ..... قل الله يفتيكُم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب
- ٨١ ..... قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون
- ٦ ..... قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد
- قولوا آمنا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب  
والأسياط ..... ٧٨
- ٨٧ ..... قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون
- ٧٩ ..... قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه
- ٤٢ ..... كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته
- ١١ ..... كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
- ١٤ ..... لتستووا على ظهوره
- ١٠ ..... لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
- ١٣ ..... لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم
- ٧٤ ..... لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً
- ١٢ ..... لمن شاء منكم أن يستقيم
- ٨٥ ..... لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء
- ١٤ ..... ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
- ١٠٠ ..... ليلوكم أيكم أحسن عملاً
- ٨٦ ..... من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه
- ٧٦ ..... من يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه
- ٨٩-٧٥ ..... من يطع الرسول فقد أطاع الله
- ٣٦ ..... مما عملت أيدينا
- ٩٢ ..... من كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون
- ٣٦-٣٥ ..... ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي

- ٨٦ ..... ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع  
 ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه
- ٦٣ ..... صديقة كانا يأكلان الطعام
- ٦ ..... هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم  
 هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب
- ٤٢ ..... وأخر متشابهات
- ٧ ..... هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
- ٤٣-٦ ..... هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة
- ٧٤ ..... هل يسمعونكم إذ تدعون
- ٤٣ ..... هل ينظرون إلا تأويله
- ٧٦ ..... واتل عليهم نبأ نوح  
 وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ
- ٧٦ ..... بأننا مسلمون
- ٧٧ ..... وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ
- ٢٧ ..... وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ  
 وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي
- ٧٩ ..... فَإِنَّهُ سَيُجِيبُكُمْ
- ١١ ..... واذكر عبدنا داود ذا الأيد
- ٧٩-٧٥ ..... واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا
- ١٤ ..... واستوت على الجودي
- وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه
- ١٣ ..... عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
- ٤١ ..... ولأصلبكم فى جذوع النخل
- ٤٩ ..... وإلهكم إله واحد
- ٧٦ ..... وأمرت أن أكون من المسلمين  
 وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم

- عن سيئه ..... ١٠١
- وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ..... ٩٧
- وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه  
من ولي لا شفيع ..... ٨٦
- وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب  
ومهيماً عليه ..... ٧٧
- وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ..... ٤١
- وبشره بغلام عليم ..... ١٠
- وبيده الخير ..... ٣٥
- وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستروا على ظهوره ..... ٣٩
- وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم  
سيحانه ..... ٥
- وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ..... ٩٧
- وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كفل  
على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ..... ٧٤
- وعصى آدم ربه فغوى ..... ٩٩
- وغضب الله عليهم ولعنهم ..... ١٣
- وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ..... ٨٧
- وفوق ذي كل علم عليم ..... ١١
- وقال الملك اتوبى به استخلصه لنفسى ..... ١١-١٣
- وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ..... ٧٦
- قالت امرأة العزيز ..... ١١
- سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ..... ٩٠
- وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ..... ١٤
- وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ..... ٨٦
- وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ..... ٩٤

- وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً ..... ٨٧
- وكلم الله موسى تكليماً ..... ٦-١٣
- وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل  
به عليكم سلطاناً ..... ٨٩
- ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ..... ٨١
- ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ..... ٧٨
- ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا  
من لغوب ..... ٢٩
- ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ..... ٨٦
- والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ..... ٤
- والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ..... ٧٨
- ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً ..... ٤٧
- ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ..... ١٣
- ولما رجع موسى غضبان أسفاً ..... ١٣
- ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله ..... ٨٨
- وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ..... ٨٨
- وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ..... ٧٥
- وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا  
فاعبدون ..... ٧٥-٧٩
- وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ..... ١١
- وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات  
مطويات يمينه ..... ٣٣
- ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس  
كونوا عباداً لي من دون الله ..... ٨٠
- وما لي لأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ..... ٨٦
- وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ..... ٨١

- وما يعلم تأويله إلا الله ..... ٤٢-٥٠-٥١
- وما يعلم جنود ربك إلا هو ..... ٤٩
- ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ..... ٩٩
- ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه ..... ٦
- ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ..... ٧٨
- ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ..... ٨٨
- ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ..... ٧٨
- ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ..... ٥
- وناديتاه من جانب الطور الأيمن وناديتاه نجياً ..... ٦-١٣
- وناداهما ربهما ..... ١٣
- ويزدكم قوة إلى قوة ..... ١١
- ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ..... ٨٦
- ويمكرون ويمكر الله ..... ١٢
- ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ..... ١٣
- والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ..... ١٣
- أموات غير أحياء ..... ١٨-٧٢
- والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ..... ١٠١
- والسماء بنيناها بأيد ..... ١١-٤٠
- ولا يأمركم أن تتخفوا الملائكة والذين أرباباً ..... ٨٠
- ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ..... ١٤
- ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ..... ١١
- وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ..... ٦
- لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخلولاً ..... ٨٧

- لا تدركه الأبصار ..... ٢٩
- لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ..... ٢٨
- يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ..... ٧٦
- يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ..... ٨٨
- يحبههم ويحبونه ..... ٣٦
- يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ..... ١٠
- يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ..... ٩٢
- يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ..... ٩٢

## فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
٤١	إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس
٢٧	إن الروح إذا خرجت تبعها البصر
٨٩	إنما هو الشرك أو لم تسمعوا إلى قول العبد الصالح (إن الشرك لظلم عظيم)
٩٧	إنه ليغان على قلبى وإنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة
٧٨	بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت
٣٧	ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر
١٠١	خير القرون القرن الذى بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
٤٤	سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اغفر لى
٣٤	عبدى جعت لم تطعمنى
٣٤	قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن
٢٧	وإنها — الروح — تقبض ويعرج بها إلى السماء
٩٩	يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فىك من روحه وأسجد لك ملائكته
٩٧	يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذى نفسى بيده إنى لأستغفره وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة
٨٩	من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً
٣٣	يقبض الله الأرض ويطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض



- يقول الشيطان أهلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله
- ٩٨ ..... والاستغفار
- ٧٣ ..... العجماء جبار
- المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين  
الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا ..... ٥٠
- اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون ..... ١٠٢
- اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في  
كتابك ..... ٤٥
- اللهم منك ولك ..... ٩٩

## فهرس الأثار

الصفحة	الأثر
	قال مجاهد :
٤٣	إنّ الراسخين في العلم يعلمون تأويله .....
	سئل مالك :
٤٥	عن قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى .....
	قال مجاهد :
	عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته
٤٣	أفقته عند كل آية وأسأله عن تفسيرها .....
	قالت العرب :
٧٣	ماله صامت ولا ناطق .....
	قال ابن عباس :
٢٤	ليس شيء في الدنيا مما في الجنة إلى الأسماء .....
	قالت السيدة عائشة :
	كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم رب
	وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن يعني قوله : ﴿ فسبح بحمد
٤٤	ربك واستغفره ﴾ .....
	قال أبو عبيدة :
٧٣	كتيبة خرساء هي : التي صممت من كثرة الدروع ليس لها قعاقع
	الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه أو قبله فكأنما صافح الله
٣٤	وقبل يمينه .....
	قال سفيان بن عيينة :
٤٤	السنة هي تأويل الأمر والنهي .....
	قال أبو عبيدة :
٤٤	الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة .....
١١٥	

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة - الكلام في باب التوحيد والصفات
١٥	إثبات بعض الصفات إثبات للباقي
٢٢	القول بالصفات كالقول بالذات
٢٤	ما يثبت من الصفات
٢٨	خاتمة جامعة ، وفيها قواعد
٢٨	القاعدة الأولى : في الإثبات والنفي
٣٢	القاعدة الثانية : في وجوب الإيمان بما أخبر به الرسول
٣٤	القاعدة الثالثة : عن ظاهر النصوص
٣٨	القاعدة الرابعة : عن التوهم في بعض الصفات
٤٢	القاعدة الخامسة : علمنا للأخبار بوجه من الوجوه
٥٣	القاعدة السادسة : ضوابط ما يجوز على الله وما لا يجوز
٥٩	ما يسلكه نفاة الصفات
٦٦	القاعدة السابعة : ما يعلم بالسمع والعقل
٧٥	التوحيد في العبادات
٩١	الإيمان بخلق الله وأمره
١٠٣	فهارس الكتاب